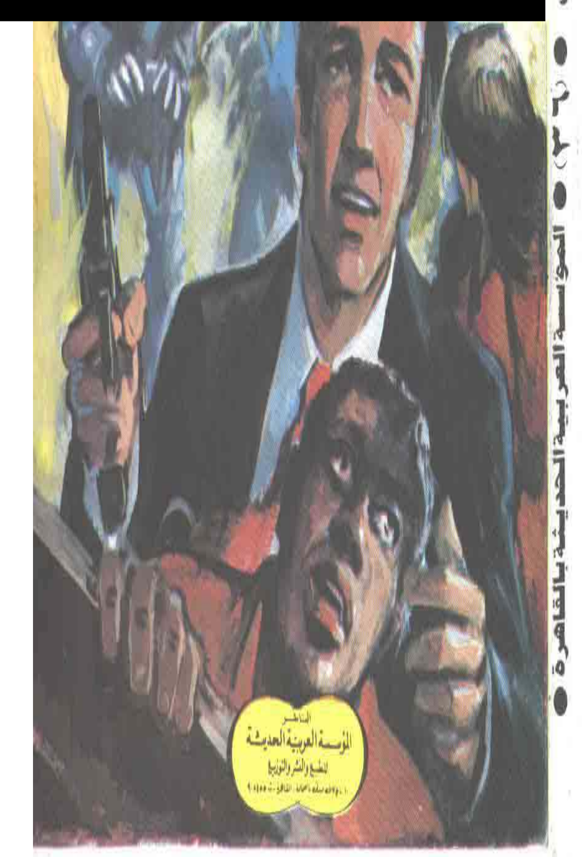





● رجل المستحيل ● ذئب الأحراش ● ٣٦ ● المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة ●

المؤلف

د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

٣٦

## ذئب الأحراش

● ما سرّ تلك المحاولة الخبيثة ، لزرع الخلاف بين ( مصر ) ومواطنى ( جنوب إفريقيا ) ؟

● لماذا يحارب ( أدهم صبرى ) ورفيقته رجال ( الموساد ) فى قلب إفريقيا ؟

● أيسقط ( أدهم صبرى ) أمام منظمة ( الذئاب البيض ) ، أم يثبت أنه وحده ذئب الأحراش ؟

● اقرأ التفاصيل المثيرة ؛ لترى كيف يعمل ( رجل المستحيل ) .



العدد القادم : مخلب الشيطان

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن ( أدهم صبرى ) كل هذه المهارات .. ولكن ( أدهم صبرى ) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب ( رجل المستحيل ) .

د. نبيل فاروق



## ١ ــ نداء من كيب تاون ..

انطلقت رصاصة قاتلة من فوّهة مسدس من نوع الـ ( سميث ) ، تشق الهواء نحو رجل يعدُو داخل ممر طويل ، وانحرف الرجل فى نفس اللحظة التى حطّمت فيها الرصاصة حاجز نافذة ، تبعد عنه بضعة سنتيمترات فى نهاية الممر ، وارتفع صوت أقدام ثلاثة رجال يطاردون الرجل الأول فى إصرار ووحشية ، وقفز الرجل داخل حجرة صغيرة ، وأغلق الباب خلفه فى إحكام ، ثم دار بعينيه فى أرجاء المكان فى لهفة ، حتى استقرتا فوق جهاز لاسلكى صغير ، يقبع ساكنًا فى ركن الحجرة ، فأسرع نحوه ، وأخذ يدير مؤشراته فى توتُّر محاولًا التوصُّل إلى موجة إرسال خاصة ، وازداد توتُّره حينما بدأ الرجال الثلاثة يدقُّون باب الغرفة فى شراسة وقوة ، ومضى الوقت بطيئًا ، حتى خُيِّل للرجل أنه قد استغرق دهرًا كاملًا ،



قبل أن يتوصَّل إلى الموجة المنشودة ، فثبت جهاز الاستماع والاتصال فوق أذنيه ، وهتف فى توتُّر :

ــ هنا ( س ٦٠٠ ) يتحدَّث إلى ( وكر الثعالب ) ، لقد فشلت عملية ( الذئب الأرقط ) .. أنا محاصر هنا .. لا أمل فى النجاة .

ساد الصمت لحظة مرت كالدهر ، قبل أن ينبعث من الجهاز صوتٌ يقول :

ــ هنا ( وكر الثعالب ) .. كيف فشلت المهمة يا ( س ٦٠٠ ) ؟

أجاب وهو يختلس النظر إلى باب الحجرة ، الذى بدأ الرجال الثلاثة يطلقون رصاصاتهم عليه :

ــ بسبب الخيانة ، لقد خاننا أحد أفراد ( الأسُود السُّود ) ، لقد ....

وقبل أن يتمّ عبارته تحطَّم مزلاج الباب ، واندفع الرجال الثلاثة إلى الحجرة الصغيرة ، واحتبست الكلمات فى حلق ( س ٦٠٠ ) ، ولكنه لم ينس برغم



خطورة موقفه أن يدير مؤشر جهاز اللاسلكى ، كيلا يتعرَّف الرجال الثلاثة الموجة الخاصَّة برئاسته ، وظل ساكنًا يحدِّق فى فوّهات المسدسات الثلاثة المصوَّبة نحوه ، حتى سمع صوت أحد الرجال يقول :

ــ لا فائدة من المقاومة يا رجل المخابرات المصرية ، لقد انتهى كل شىء .

قال ( س ٦٠٠ ) فى اشمئزاز :

ــ يا لك من خائن قذر !!

ارتسمت ابتسامة على شفتى الرجل الغليظتين ، وهو يقول :

ــ حسنًا أيها الرجل .. إنها كلماتك الأخيرة .

وفجأة .. تحرك ( س ٦٠٠ ) ، وركل مسدس الرجل ذى الشفتين الغليظتين ، ثم عاجله بلكمة قوية فى صدره ، واستدار يواجه الرجلين الآخرين ، ولكن أحدهما أطلق عليه رصاصة اخترقت ذراعه ، وحطَّمت عظامه ، وبرغم آلامه المبرِّحة ، لكم ( س ٦٠٠ )

الرجل بأقصى ما يملك من قوة ، وركل الثانى فى وجهه قبل أن يطلق رصاصات مسدسه ، وفجأة أيضًا وجد ( س ٦٠٠ ) الطريق أمامه خالية ، فاندفع محاولًا مغادرة الحجرة .. ولكنَّ الرجل ذا الشفتين الغليظتين ، أطلق رصاصته التى استقرت فى عنق ( س ٦٠٠ ) .

ترنَّح ضابط المخابرات المصرى ، واندفعت دماء الحياة من عنقه ، وحاول أن يتشبَّث بالباب ، ولكنه سقط أرضًا جثة هامدة .

ازدرد الرجل لعابه ، وقال للآخرين :

ـــ ها قد تخلَّصنا منه ، ولا ريب أن المصريين سيرسلون رجلًا آخر .

سأله أحد الرجال وهو ينهض :

ـــ هل تظن ذلك حقًّا ؟

أجابه وهو يشعل سيجارته :

ـــ إنهم لا يستسلمون بسهولة ، وما داموا قد



وصلوا إلينا فى ( كيب تاون ) ، فهم لن ينسحبوا قبل أن يضعوا نهاية حاسمة للأمر .

سأله الرجل الآخر :

ـــ هل نلغى العملية إذن ؟

هزَّ غليظ الشفتين رأسه نفيًا ، وقال وهو ينفث دخان سيجارته :

ـــ هذا مستحيل أيها الغبىّ .. سننتظر رجلهم القادم و ....

وابتسم فى شراسة ، وهو يردف فى بطء وهدوء :

ـــ ونقتله .

* * *



## ٢ ـــ إلى الجنوب ..

عقد ( أدهم ) حاجبيه ، وهو يصغى فى انتباه إلى تسجيل رسالة ( س ٦٠٠ ) الأخيرة ، وانتظر حتى انتهت ، ثم قال :

ـــ أظننى أحتاج إلى بعض التفاصيل يا سيِّدى ، فأنا أعلم أن ( س ٦٠٠ ) هو زميلنا ( عبد الفتاح ) ( رحمه الله ) ، وأن ( وكر الثعالب ) هو مقر ( المخابرات المصرية ) .. ولكن ما عملية ( الذئب الأرقط ) ؟ ولماذا تتمّ فى ( كيب تاون ) عاصمة ( جنوب أفريقيا ) ؟

تنهَّد مدير المخابرات ، وقال :

ـــ سأخبرك بالأمر منذ البداية يا ( ن ـــ ١ ) .

وصمت لحظة وكأنما يستجمع أفكاره ، ثم قال :

ـــ أنت تعلم أن ( جنوب إفريقيا ) من المناطق التى



ما زالت تخضع للاحتلال البريطانى حتى الآن ، وأن المشكلة الرئيسية فيها هى تلك التفرقة العنصرية بين البيض والزنوج ، الذين هم أهل البلاد الأصليون .

سأله ( أدهم ) :

ـــ وما علاقة هذا بالمخابرات المصرية يا سيِّدى ؟

أجابه مدير المخابرات :

ـــ فى الدول العنصرية عادة ، ينشأ فريق يحاول الإفادة من الموقف ، وفى هذه المرة أراد ذلك الفريق توريط السفارة المصرية هناك ، فى عمل يجلب إليها سخط المواطنين الزنوج ، ويقود تلك العملية واحد من أبرع رجال ( الموساد ) ، يحاول أن ينسب مقتل بعض المواطنين إلى السفارة المصرية ، وبذا يضرب عصفورين بحجر واحد ، فيحطِّم العلاقة بين ( مصر ) و ( جنوب إفريقيا ) ، وينفى التُّهمة عن منظمة البيض الإجرامية المسئولة عن حوادث القتل ، والتى تعاون ( الموساد ) فى كثير من عملياته ، وتطلق على نفسها اسم ( الذئب

الأبيض ) ؛ لهذا السبب أرسلنا ( س ٦٠٠ ) فى محاولة لإحباط ذلك المخطَّط ، ولكنه لقى مصرعه كما علمت .

سأل ( أدهم ) فى اهتمام :

ـــ وما هى منظمة ( الأسود السود ) التى خاننا أحد رجالها هذه ؟

أجابه مدير المخابرات :

ـــ إنها منظمة من الزنوج مناهضة لمبدأ التفرقة العنصرية ، وتؤمن ببراءة ( مصر ) من حادث مقتل المواطنين السود ، وكان من المفروض أن تعاوننا فى كشف الأمر ، ولكن أحد زعمائها خائن ، يعمل لحساب ( الموساد ) .

نهض ( أدهم ) من مقعده ، وهو يقول :

ـــ متى أسافر إلى ( كيب تاون ) يا سيِّدى ؟

ابتسم مدير المخابرات لحماسة ( أدهم ) ، وقال فى هدوء وهو يناوله ملفًا صغيرًا :



ـــ بعد ساعتين فقط يا ( ن ـــ ١ ) ، بعد أن تحفظ كل كلمة يتضمنها هذا الملف .

* * *

لم يستطع ( أدهم ) كتمان ضحكته ، حينما وقع بصره على ( منى توفيق ) فى مطار القاهرة ، كانت قد تحوَّلت بفعل التنكُّر إلى زنجيَّة أنيقة ، لها بشرة فى لون الشيكولاتة ، وشعر مجعَّد كثيف تكوَّر فوق رأسها وشفتان غليظتان ممتلئتان ، وفى كل من أذنيها تدلَّى قرط ضخم أصفر اللون ، وعقدت هى حاجبيها فى غضب ، حينما بدأ يتأمَّلها ضاحكًا ، وهمست فى أذنه ساخطة :

ـــ أنت أيضًا تبدو عجيبًا ، وأنت متنكِّر فى هيئة الزنوج .

استمر ( أدهم ) يضحك فى مرح لم يلبث أن انتقل إليها ، فتلاشى غضبها ، وضحكت وهى تقول :

ـــ ليتك رأيت ( قدرى ) وهو يلتقط صورتى بهذا التنكر ، من أجل جواز السفر .. لقد ارتج جسده



البدين وهو يقهقه ضاحكًا ، ويمسك كرشه الضخمة ، محاولًا منعهما من الارتجاج .. لقد استغرق نصف ساعة كاملة ليلتقط صورتى .

قال ( أدهم ) وهو يقودها إلى حيث ينهى كل منهما إجراءات سفره :

ـــ حسنًا يا عزيزتى ( كوبولا ) كما هو مدوَّن بجواز سفرك .. سنؤجل هذا الحديث لما بعد .

ضحكت وهى تقول :

ـــ لا بأس يا عزيزى ( أندريه صاصو ) .. كما هو مدوَّن بجواز سفرك أيضًا .

* * *

ارتفع صوت مضيفة الطائرة تدعو المسافرين إلى ربط الأحزمة ، والامتناع عن التدخين ، استعدادًا للهبوط فى مطار ( كيب تاون ) ، فالتفتت ( منى ) إلى ( أدهم ) ، وسألته بالفرنسية :

ـــ هل نذهب إلى السفارة المصرية مباشرة ؟



أجابها ( أدهم ) فى هدوء ، وهو يربط حزام مقعده :

ـــ لن نذهب إليها مطلقًا يا عزيزتى ، فنحن فرنسيان كما يقول جوازا سفرنا .. ونحن هنا فى ( جنوب إفريقيا ) للتنزُّه والسياحة فقط ، وليست لنا أيَّة مطالب أو علاقات بالسفارة المصرية .

سألته :

ـــ من أين نبدأ مهمتنا إذن ؟

هزَّ كتفيه وهو يجيبها قائلًا :

ـــ من مقر ( الأسود السود ) بالطبع يا عزيزتى .

عقدت حاجبيها فى مزيج من الدهشة والقلق والتساؤل ، وهى تقول :

ـــ ألا ينطوى هذا على خطر بالغ ؟.. أعنى مادام هناك خائن مجهول الهويَّة وسط رجال ( الأسود السود ) ، فكيف نكشف لهم أوراقنا ؟

أجابها وهو يبتسم ابتسامة ماكرة غامضة :

— لابدَّ أن ندفعهم للحركة ، حتى ينتهى الأمر بسرعة يا عزيزتى .

قالت فى غضب :

— هل ستعود لممارسة خُطَّتك الخاصة ، بإلقاء أنفسنا بين أنياب الأسود ؟

عاد يهزّ كتفيه ، قائلًا فى استهتار :

— ولمَ لا ؟.. إنها أفضل الطرق فى رأيى يا عزيزتى .

وقبل أن تفتح فمها للاعتراض ، أسرع يبادرها قائلًا :

— ها قد هبطنا يا عزيزتى ، وأرجو ألا تكونى قد نسيت معجون الأسنان الخاص بتنظيف أنياب الأسد الخائن وسط ( الأسُود السُّود ) .

* * *





## ٣ — الأسود والأبيض ..

توقَّفت سيارة قديمة — من طراز يعود إلى عشر سنوات مضت ، أمام منزل صغير ، فى أحد أحياء ( كيب تاون ) الفقيرة ، وترجَّل منها ( أدهم صبرى ) وزميلته (منى) ، فى زيِّهما الذى يجعلهما يشبهان المواطنين تمامًا ، وقبل أن يدقّ ( أدهم ) باب المنزل الصغير ، اقترب منه شرطى أبيض البشرة ، وسأله بالإنجليزية فى خشونة :

— مهلًا أيها الأسود .. هل لديك رخصة لقيادة السيارات ؟

أجابه ( أدهم ) بإنجليزية تحمل اللُّكنة الفرنسية ، وبصوت يحمل رنَّة السخرية :

— بالطبع أيها الشُّرطى الأبيض الهمام .. لقد استخرجت رخصة دولية من دولتى ( فرنسا ) .



تطلَّع إليه الشُّرطى فى شكٍّ ، وقال :

— هل أنت فرنسى ؟.. أيوجد زنوج فى ( فرنسا )؟

أجابه ( أدهم ) بلهجته الساخرة :

— نعم أيها الشُّرطى .. تمامًا كما يوجد بيض فى ( جنوب إفريقيا ) .

ظهر الغضب على وجه الشُّرطى ، وصاح وهو يهوى بعصاه الغليظة القصيرة على رأس ( أدهم ) :

— أغلق شفتيك على أسنانك أيها الزنجى القذر .

توقَّفت يد الشرطى فى الهواء ، واتسعت عيناه ذُعرًا وذهولًا ، حينما تحرَّكت قبضة ( أدهم ) كالصاروخ ، وقبضت على معصمه فى قوة .. وشعر الشرطى بالألم حينما انغرزت الأصابع الفولاذية فى رسغه ، وحدَّق مدهوشًا فى عينى ( أدهم ) البارزتين الساخرتين ، وسمعه يقول فى صرامة :

— كلَّا أيها الشرطى الأبيض ، إننى زائر فى هذا البلد ، ولم أرتكب ذنبًا يمكنك مؤاخذتى عليه ، باستثناء



لونى الأسود بالطبع ، ولو أنك حاولت إهانتى بحرف واحد ، أؤكد لك أننى سأعمل على نقلك إلى نقطة مرور ( سيبيريا ) .

تعلَّقت عينا الشرطى بعينى ( أدهم ) لحظات ، ثم غمغم فى سخط :

— حسنًا أيها الفرنسى .. سنتقابل مرة أخرى .

ثم جذب معصمه من قبضة ( أدهم ) ، وتحرَّك مبتعدًا ، متحاشيًا نظرات الشماتة فى عيون الوطنيِّين الزنوج ، والذين التفوا يتطلَّعون إلى ( أدهم ) فى سعادة وإعجاب ، على حين دقَّ هو باب المنزل الصغير فى هدوء ، وهو يقول لـ (منى) :

— لقد ازددت إصرارًا على معاونة ( الأسود السُّود ) يا عزيزتى .

* * *

فتح الباب زنجى أشيب الشعر ، تأمَّل وجه (أدهم) بنظرات متشكِّكة ، قبل أن يسأله فى صوت قوىّ لا يتناسب وجسده الهزيل :

ـــ ماذا تريد يا أخى ؟

أجابه ( أدهم ) فى لهجة آمرة :

ـــ أريد مقابلة ( موناسا ) .

تظاهر الرجل بالتفكير ، وهو يقول :

ـــ ( موناسا ) ؟!.. لست أذكر هذا الاسم .

مال ( أدهم ) نحوه ، وقال فى صوت خفيض :

ـــ لعلك تتذكّره لو أخبرتك أنه زعيم ( الأسُود السُود ) .

اتسعت عينا العجوز دهشة ، وقال وهو يسارع بإغلاق الباب :

ـــ لست أعرف من يدعى ( موناسا ) يا أخى .

وضع ( أدهم ) قدمه بين مصراعى الباب يمنع إغلاقه ، وقال فى هدوء :

ـــ زئير الأسُود يرج الأدغال يا صديقى .

حدّق الرجل فى وجهه بعض الوقت ، ثم غمغم :

ـــ بعض الأسُود لا تزأر .



ابتسم ( أدهم ) وهو يكمل العبارة السرّية المتفق عليها ، قائلًا :

ـــ ولكنها تنتصر فى صمت يا صديقى .

فتح العجوز الباب على مصراعيه ، وأشار لـ ( أدهم ) و ( منى ) بالدخول ، ثم عاد يغلق الباب خلفهما فى إحكام ، وتقدمهما إلى ما يبدو كحائط مُصمت ، وأزاح جانبًا من ستارة سوداء تنسدل فوقه ، فظهر باب آخر ، أسرع يفتحه ويشير إليهما بالدخول ..

كانت الإضاءة خافتة داخل الحجرة الجديدة ، ولم تكد عينا ( أدهم ) و ( منى ) تعتادان الرؤية فى تلك الإضاءة الخافتة ، حتى تبيّن لهما ثلاثة زنوج ، يجلسون حول مائدة مستديرة ، ويحدّقون فيهما فى اهتمام وتساؤل ، وتقدّم ( أدهم ) نحو أحدهما ، ومدّ يده يصافحه قائلًا :

ـــ السيّد ( موناسا ) حسبما أعتقد ، أقدّم لك نفسى .. أنا العقيد (أدهم صبرى) من المخابرات المصرية .

* * *



لم يكد ( أدهم ) ينتهى من ذكر اسمه ، حتى ندّت شهقة خافتة من أحد الرجلين اللّذين يجاوران ( موناسا ) ، وعقد ( أدهم ) حاجبيه وهو يحاول تبيُّن أيهما مصدر الشّهقة ، إلّا أن ( موناسا ) نهض يصافحه ، قائلًا :

ـــ مرحبًا لمقدمك أيها المصرىّ ، تقبّل أسفى لمصرع زميلك السابق .

أجابه ( أدهم ) وهو يواصل تفرُّس ملامح الرجلين الآخرين :

ـــ لقد كان يؤدى واجبه يا سيِّد ( موناسا ) .

تطلّع ( موناسا ) فى تساؤل إلى ( منى ) ، فقدّمها ( أدهم ) إليه قائلًا :

ـــ زميلتى النقيب ( منى توفيق ) ، من المخابرات المصرية أيضًا .

صافحها ( موناسا ) ، وهو يقول فى لهجة مهذّبة :

ـــ مرحبًا بك فى ( كيب تاون ) يا سيِّدتى .



ثم أشار إلى زميليه ، قائلًا :

ـــ هذان ( كوانا ) و ( بتسوى ) ، زميلاىَ فى مجلس قيادة ( الأسُود السُود ) .

تصافح الجميع ، ثم قال ( أدهم ) وهو يتّخذ مقعده إلى جوار ( منى ) حول المائدة المستديرة :

ـــ ما معلوماتك عن حادث مصرع الوطنيّين يا سيِّد ( موناسا ) ؟

صمت ( موناسا ) قليلًا ، ثم قال :

ـــ لا شىء تقريبًا يا سيِّد ( أدهم ) ، لقد كانوا أعضاء فى منظمتنا ، وتم العثور عليهم قتلى إلى جوار السفارة المصرية ، وأنا واثق أنها محاولة لزرع روح الكراهية نحو ( مصر ) ، ولكننى واثق أنهم لقوا حتفهم على يد منظمة ( الذّئب الأبيض ) ، وأنت تعلم علاقة زعيمها ( أدولف حونين ) بالـ( موساد ) .

سأله ( أدهم ) :

ـــ أهذا رأى الوطنيّين هنا ؟

مطَّ ( موناسا ) شفتيه الغليظتين ، وهو يقول :
ـــ إنهم متردِّدون ما بين اتهام ( مصر ) ، أو الشك فى ذلك يا سيِّد ( أدهم ) .. ولن يحسم هذا التردُّد سوى كشف الأمر على نحو واضح .
غمغم ( كوانا ) فى سخط :
ـــ كيف تكشف أسرارنا أمام رجل أبيض ، لمجرَّد أنه متنكِّر فى هيئة زنجى يا ( موناسا ) .
تألَّقت عينا ( أدهم ) فى الضوء الخافت ، وهو يتأمَّل وجه ( كوانا ) ، على حين التفت إليه ( موناسا ) ، قائلًا فى غضب :
ـــ كيف تحارب العنصرية وأنت تفكِّر بهذا الأسلوب يا ( كوانا ) ؟.. إن لون بشرة السيِّد ( أدهم ) لا يعنينى كثيرًا ، فنحن لا نحارب البيض لمجرَّد لون بشرتهم ، ولكننا نحارب فى سبيل نيل حريتنا ودولتنا ، والمحارب من أجل الحق يصاب دائمًا بعمى الألوان يا ( كوانا ) ، ولكنه يمتلك حاسة قوية للتمييز بين الخير والشر .



غمغم ( كوانا ) بعبارة ساخطة ، على حين انبرى ( بتسوى ) قائلًا :
ـــ أنت على حقّ يا ( موناسا ) ، وأنا أثق فيمن تثق بهم .
ابتسم ( أدهم ) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :
ـــ سأعاونكم فى تدمير منظمة ( الذِّئب الأبيض ) يا ( موناسا ) ، وليس هذا من أجل لونها ، ولكن لأننى أميل دائمًا إلى معاداة كل من يحاول المساس بوطنى ( مصر ) .. سأتحدَّث إليك أوَّلًا حديثًا سريًّا منفردًا ، ثم أنصرف أنا وزميلتى لبدء الصراع .
تطلَّع إليه ( موناسا ) فى دهشة ، ثم غمغم فى صوت خافت :
ـــ كما تشاء يا سيِّد ( أدهم ) .. كما تشاء .

* * *

ظلَّت ( منى ) صامتة ، و ( أدهم ) يقود سيارته إلى قلب ( كيب تاون ) ، ثم اندفعت فجأة تسأله فى فضول :



ـــ بمَ همست إلى ( موناسا ) قبل أن ننصرف ؟
ابتسم ( أدهم ) وهو يقول :
ـــ طلبت منه أن يأخذ الحذر من ( كوانا ) يا عزيزتى .
سألته فى دهشة :
ـــ ولمَ ( كوانا ) بالذات ؟
أجابها فى هدوء :
ـــ لأنه الجاسوس الذى يعمل لحساب ( الذِّئاب البيض ) فى منظمة ( الأُسود السُّود ) .
اتسعت عيناها دهشةً ، وهى تهتف :
ـــ كيف عرفت ؟.. إن المقدم ( عبد الفتاح ) ( رحمه الله ) ، لم يشر إلى شخصية الجاسوس بكلمة واحدة و ....
قاطعها ( أدهم ) وهو يتطلَّع إلى مرآة السيارة ، قائلًا فى صوت تلوح فيه نبرة السخرية :
ـــ سأخبرك يا عزيزتى ، بعد أن أنتهى من هؤلاء الأوغاد الذين يتبعوننا منذ عشر دقائق .



ألقت ( منى ) نظرة على مرآة السيارة ، وهتفت :
ـــ يا إلٰهى !! كيف كشفوا أمرنا بهذه السرعة ؟
أجابها فى هدوء :
ـــ يبدو أن ( كوانا ) يقوم بعمله على أكمل وجه يا عزيزتى .
ثم ضغط بقدمه دوَّاسة سيارته فى قوة ، وهو ينحرف بها إلى جانب الطريق ، قائلًا فى سخرية :
ـــ إننى أعِدُّ مفاجأة لهؤلاء الذِّئاب البيض .

* * *



## ٤ ـ ذئب الذّئاب ..

ضغط قائد سيارة الذّئاب على دوّاسة سيارته فى قوة ، وهو يسبّ ساخطًا ، ثم هتف فى غضب وحنق :

ـ ماذا يفعل هذا الزّنجى الغبىّ ؟

تطلّع أحد زملائه الأربعة إلى ( أدهم ) وهو يغادر سيارته ، ويتّجه نحوهم فى هدوء وقال :

ـ لست أدرى ماذا يريد بالضبط ، ولكن تذكّر أن رجلنا قد حذّرنا منه مشدّدًا .

قال رجل آخر وهو يراقب ( أدهم ) ، الذى اقترب منهم فى ملامحه الزّنجية التنكّرية :

ـ ربما ينشد المساعدة ، فقد أوقف سيارته بشكل فجائى .

كان ( أدهم ) قد وصل إليهم فى تلك اللحظة ، وانحنى يتطلّع إليهم من نافذة السيارة فى سخرية ، وقال :



ـ أأنتم خمسة رجال فقط ؟

سأله قائد السيارة فى خشونة :

ـ ماذا تريد أيها الزّنجى ؟

أجابه ( أدهم ) فى لهجة استفزازية ساخرة :

ـ لا عليك يا صديقى .. أردت فقط رؤية عضلاتكم المنفوخة ، فقد تراهنت مع صديقتى أننى أستطيع تفريغها بدبوس صغير .

ظهر غضب جنونى على وجوه الذّئاب الخمسة ، وهم يندفعون خارج السيارة ، وامتدت أيديهم بصورة غريزية إلى مسدساتهم المدسوسة خلف ستراتهم ، وصرخ زعيمهم غاضبًا :

ـ ستندم على كل حرف تفوّهت به أيها الزّنجى .

* * *

ليس هناك من شك فى أن اللحظات التالية تحمل الكثير من الندم ، ولكنه لم يكن من نصيب ( أدهم صبرى ) ، فلم يكد زعيم الأوغاد الخمسة ينتهى من نطق



كلماته الغاضبة ، حتى انفجر ( أدهم ) وسطهم كالإعصار ، واندفعت قبضته اليمنى تهشّم فكّ أولهم ، واليسرى تحطّم أنف الثانى ، وانطلقت قدمه اليسرى فى الوقت نفسه تركل مسدس الثالث ، على حين دارت قدمه اليمنى فى الهواء كالمروحة ، وكسرت أنف الرجل نفسه .

تراجع الرجلان الباقيان فى ذهول ، وتصلّبت أيديهما فوق مقبض مسدسيهما ، وقبل أن يستردا إحساسهما بالموقف ، هوت قبضة ( أدهم ) على رقبة أحدهما ، على حين غاصت قدمه فى معدة الثانى ، واندفعت قبضته اليسرى تنهى القتال بلكمة ساحقة فى فكّه ...

تسمّر المارّة فى ذهول ، وهم يتطلّعون إلى ذلك القتال الشيطانى العجيب بين الذّئاب الخمسة وملك الذّئاب فى العالم أجمع ، وانطلق أحد رجال الشرطة نحو المتقاتلين فى غضب ..



لَمْ يغضبه أن الرجال الخمسة كانوا يحملون مسدسات غير مرخصة ..

ولَمْ يغضبه نشوب قتال عنيف وسط أحد شوارع ( كيب تاون ) الرئيسية ..

ولَمْ يغضبه تجاهل المتقاتلين وجوده ، وإهمالهم للزّى الرسمى الذى يرتديه ..

وإنما أغضبه أن يجرؤ زنجى على مقاتلة خمسة من البيض ، وأن تصل وقاحته إلى حدّ هزيمتهم ، وتحطيم أنوفهم أمام جمع من الزنوج والبيض ، كان هذا فى رأيه يمثل إهانة بالغة للجنس الأبيض ، ينبغى الرد عليها بتلقين الزّنجى درسًا قاسيًا أمام الجميع ..

لم يكد الشُّرطى يصل إلى ساحة القتال ، حتى كان القتال قد انتهى ، ولم يعد فى الساحة سوى ( أدهم ) ينفض غبارًا وهميًا عن سترته البيضاء ، وصرخ الشرطى فى وجهه غاضبًا :

ـ كيف تجرؤ أيها الزّنجى القذ .... ؟

لم يجد الشرطى المسكين ما يكفى من الوقت لإتمام عبارته ، فلم يكد يرفع عصاه استعدادًا لضرب ( أدهم ) حتى حطَّم ( أدهم ) أسنانه بلكمة كالقنبلة ..

ترنَّح الجندىّ وهو ينظر إلى ( أدهم ) فى ذهول ، ولكن ( أدهم ) عاجله بلكمة أخرى هشَّمت أنفه ، وسقط الشرطى على الأرض ، بين قدمَىْ ( أدهم صبرى ) ، الذى تحرَّك نحو سيارته ، ودلف إليها فى هدوء ، وأدار محرِّكاتها ، فسألته ( منى ) فى دهشة :

ـــ لِمَ ضربت الشرطى أيضًا ؟

أجابها فى هدوء وهو ينطلق بالسيارة :

ـــ لقد سئمت هذا الأسلوب العنصرى السخيف . .

سألته فى غضب :

ـــ وماذا سنفعل الآن ؟.. لقد فتحت جبهة قتال جديدة بمعاداتك للشرطة .

ابتسم وهو يقول :





فلم يكد يرفع عصاه استعدادًا لضرب ( أدهم ) حتى حطَّم ( أدهم ) أسنانه بلكمة كالقنبلة ..



ـــ لن يحدث شىء يا عزيزتى .

صاحت فى حنق :

ـــ ماذا تعنى بأنه لن يحدث شىء ، سيحصلون على رقم السيارة ويبحثون عن ....

قاطعها ( أدهم ) ، وهو يقول فى سخرية :

ـــ عن اثنين من الزنوج يا عزيزتى .

اتسعت عيناها دهشة وهى تغمغم :

ـــ هل تعنى ؟..

أجابها فى هدوء :

ـــ نعم ياعزيزتى .. سنلعب منذ الآن بوجوه مكشوفة .

* * *

أسدلت ( منى ) شعرها الأسود الناعم على كتفيها ، وهى تتطلَّع فى سعادة إلى بشرتها البيضاء وحانت منها التفاتة إلى ( أدهم ) ، الذى انتهى من إزالة تنكُّره ، وسألته :



ـــ ألا تشعر أنك أكثر وسامة هكذا ؟

تطلَّع إليها صامتًا بضع لحظات ، ثم سألها فى هدوء :

ـــ أتضيقين بالبشرة السَّوداء يا ( منى ) ؟

هزَّت كتفيها وهى تقول :

ـــ مطلقًا ، ولكننى أضيق بتغيير ملامحى .. فلو أننى ولدت زنجية لسئمت التطلُّع إلى وجهى إذا ماتنكَّرت فى هيئة امرأة بيضاء ، إنها مسألة ألفة ليس إلَّا .

ابتسم وهو يعقد رباط عنقه ، وتشاغلت هى بالتطلُّع إلى المكان ، ثم قالت :

ـــ من الطريف أن مخابراتنا لا تنسى أن تضع أكثر من منزل آمن ، فى كل مهمة نضطلع بها خارج مصر (*) .

(*) المنزل الآمن : هو مصطلح يستخدم فى عالم المخابرات لتعريف مكان بعيد عن المراقبة ، ومعدّ مسبقًا لإقامة رجل المخابرات فى أثناء مهامه الخارجية .

أجابها فى هدوء :
ـــ هذه واحدة من القواعد الأساسية فى عالم المخابرات يا عزيزتى .
تأملته لحظة وهو يرتدى سترته ، ثم سألته فى فضول :
ـــ إنك لم تخبرنى بعد عن كيفية توصلك إلى كون ( كوانا ) هو الجاسوس المنشود .
ابتسم وهو يجيبها ، قائلاً :
ـــ لاريب أنك سمعت تلك الشهقة الخافتة التى انطلقت من فم أحد الرجلين المصاحبين لـ ( موناسا ) حينما ذكرت اسمى يا عزيزتى .
أومأت برأسها إيجابًا ، فتابع قائلاً :
ـــ لقد نبهنى ذلك إلى أن أحد الرجلين يعرفنى جيدًا ، ومن المستحيل أن يحدث هذا إلا إذا كان ينتمى لمخابراتنا ، أو إلى ( الموساد ) .



قالت ( منى ) ، وقد عقدت حاجبيها فى تفكير عميق :
ـــ لقد تنبهت إلى ذلك أنا أيضًا ، ولكننى لم أستطع ـــ مع الإضاءة الخافتة ـــ معرفة أيهما صاحب الشهقة .
رفع ( أدهم ) سبابته أمام وجهه ، قائلاً :
ـــ أنا أيضًا لم أستطع ذلك ، حتى قال ( كوانا ) إنه يرفض التعامل مع رجل أبيض .. وهنا علمت أنه قد كشف نفسه دون أن يدرى ، فمهما بلغ سوء تنكرنا لم يكن بإمكانه تبين ذلك فى الضوء الخافت ، ولما كان أحدهم لم يسبق له مقابلتنا بالفعل ، فلم يكن من الطبيعى أن يعلم أننا لسنا زنجيين أصليين ، إذ أنه من الجائز أن ترسل المخابرات المصرية زنجيين بالفعل ، لم يكن بإمكانه معرفة ذلك إلا إذا كان يعرف أن ( أدهم صبرى ) ـــ الذى يحفظ جميع عملاء ( الموساد ) أبيض البشرة وليس زنجيًا كما يبدو .



غمغمت ( منى ) :
ـــ يا إلهى !! هذا صحيح .
ثم صاحت فى حماسة :
ـــ لابد أن نكشف القناع عنه .
أجابها ( أدهم ) فى هدوء :
ـــ سنفعل يا عزيزتى ، ولكن بعد أن نوقع ( الذئاب البيض ) عن آخرهم .
سألته :
ـــ وكيف يكون ذلك ؟
أجابها وهو يبتسم فى سخرية :
ـــ كما أخبرتك من قبل يا عزيزتى .. سنلعب بوجوه مكشوفة ، وسنقضى سهرتنا الليلة فى الملهى نفسه الذى يهواه ( أدولف حونين ) ، وسندفعه هو إلى اللهاث خلفنا .
غمغمت فى قلق :
ـــ تقصد أننا سنتحول فى المساء إلى طريدة تسعى خلفها منظمة ( الذئاب البيض ) ؟
* * *



## ٥ ـــ لقاء الذئاب ..

نفث ( أدولف حونين ) دخان سيجاره الفخم ، وظهرت الشراهة فى عينيه وهو يتطلع إلى كمية اللحوم الموضوعة أمامه ، ثم مد يده ينتزع قطعة من اللحم ، ويلقى بها فى فمه بشكل بدائى مقزز ، وأخذ يتابع برنامج الملهى فى تراخ ، وهو يتلفت حوله فى بطء شأن من اعتاد الخطر والحذر ، وجلس إلى جواره معاونه الأول ( ساندر ) يدخن سيجارته بدوره ، ويراقب زعيمه فى بلادة ..
وفجأة .. اتسعت عينا ( أدولف ) ، وظهر الرعب فى ملامحه ، وهو يقبض على ذراع ( ساندر ) فى قوة ، وغص حلقه بقطعة اللحم الضخمة التى كان يهم بابتلاعها ، فأخذ يسعل فى قوة حتى ضربه ( ساندر ) على ظهره بقبضته ، ثم ناوله كوبًا من البيرة جرعه

( أدولف ) دفعة واحدة ، واحتقن وجهه وهو يقول فى صوت متحشرج :

ـــ يا لجرأة هذا الرجل .. إنه يتحدَّانا علانيةً .

عقد ( ساندر ) حاجبيه وهو يسأله :

ـــ أى رجل يا زعيمى ؟

أشار ( أدولف ) إلى مدخل الملهى ، وهو يغمغم فى لهجة ساخطة :

ـــ ذلك الذى يقف هناك مع تلك الحسناء .

نقل ( ساندر ) بصره إلى حيث أشار رئيسه ، ولم تلبث الدهشة أن ارتسمت على ملامحه بدوره ، حينما رأى ( أدهم صبرى ) ، الذى بدا بالغ الوسامة فى حُلَّة السهرة السَّوداء ، وإلى جواره ( منى ) التى ترفل فى ثوب أبيض أنيق ، وغمغم ( ساندر ) فى دهشة :

ـــ إنه ذلك الشيطان المصرى الذى ....

قاطعه ( أدولف ) ، قائلًا فى حنق :

ـــ صَهْ أيها الغبىّ ، هل تريد إعلان ذلك للجميع ؟



همس ( ساندر ) ، وهو يواصل التَّحديق فى وجه ( أدهم ) :

ـــ لماذا جاء إلى هنا ؟

قال ( أدولف ) فى لهجة ساخطة :

ـــ من أجلنا ولا شكَّ أيها الأحمق .

غمغم ( ساندر ) فى لهجة فزعة :

ـــ إنه يتقدَّم نحونا .. هل أطلق عليه النار يا زعيمى ؟

أجابه ( أدولف ) ، وهو يحاول ضبط أعصابه :

ـــ ليس أمام الجميع أيها الغبىّ .

وبرغم إجابة ( أدولف ) ، إلَّا أن قبضة ( ساندر ) توتَّرت فوق مقبض مسدسه ، حينما وقف ( أدهم ) و ( منى ) أمام مائدة ( أدولف ) تمامًا ، وقبل أن يفتح هذا الأخير فمه ، بادره ( أدهم ) قائلًا فى سخرية :

ـــ مرحبًا يا زعيم الأوغاد البيض .

ظهر الغضب على وجه ( أدولف ) وهَمَّ بالتعقيب ، إلَّا أن ( أدهم ) و ( منى ) اتخذا مجلسيهما على نفس



المائـــدة ، وعلى نحو مبـــاغت بهما حوَّل غضب ( أدولف ) إلى دهشة عارمة ، وهو يقول :

ـــ إننى لَمْ أدعكما !!

أجابته ( منى ) فى برود :

ـــ لا عليك .. إننا لسنا فى حاجة لذلك .

ازدرد ( أدولف ) لعابه فى توتُّر ، وقال :

ـــ ماذا تريد منِّى يا سيِّد ( أد... ) .. أقصد أيها السيِّد ؟

ابتسم ( أدهم ) فى سخرية ، وهو يجيبه قائلًا :

ـــ دَعْ محاوراتك لما بعد يا ( أدولف جونين ) .

تظاهر ( أدولف ) بالحَيْرة ، وهو يقول :

ـــ يبدو أنك أخطأت يا سيِّدى ، فأنا لست ....

قاطعه ( أدهم ) فى صرامة :

ـــ قلت لك أن تضع أحمالك أيها الوغد ، فأنا أعلم أنك ذلك الوغد من ( الموساد ) ، وأنت تعلم أننى ( أدهم صبرى ) من المخابرات المصرية .



حدَّق ( أدولف ) فى وجه ( أدهم ) فى ذهول ، على حين تجاهل ( ساندر ) أوامر قائده عند هذا الحدّ من المصارحة ، ومدَّ يده يحاول انتزاع مسدسه من جيب سرواله ، إلَّا أنه سمع صوت إبرة مسدس تسحب إلى الخلف استعدادًا للإطلاق ، فشحب وجهه وهو يتطلَّع إلى يدى ( أدهم ) فوق المنضدة ، ولكنه سمع ( منى ) تقول :

ـــ إنه أنا أيها الوغد ، وسأمزِّق أحشاءك برصاصة مباشرة ، ما لم تدعْنى أرى كفَّيك فوق المائدة طوال الوقت .

رفع ( ساندر ) كفَّيه إلى ما فوق المائدة فى جزع ، وتخيَّل يد ( منى ) التى تصوب إليه المسدس من تحت المائدة ، فلزم الصمت التامّ ، على حين قال ( أدولف ) لـ ( أدهم ) :

ـــ حسنًا يا مستر ( أدهم ) .. سنتحدَّث بمنتهى الوضوح ، ما دمت ترغب فى ذلك .. ماذا تريد ؟

أجابه ( أدهم ) فى هدوء وهو يحدجه بنظراته الساخرة :

ــ إنه ليس طلبًا أيها الوغد .. إنه أمر .. أريد منك أن توقف عملية ( الذئاب البيض ) ، وتعود فورًا إلى موطنك ، وإلا سحقتك ومنظمتك كحشرات حقيرة .

لو أن ( أدولف حونين ) سمع هذا القول من رجل آخر ، لأطلق النار عليه فى غمرة الغضب ، ولكن لأنه يعلم جيدًا طبيعة محدثه ، ومدى مايتمتع به من قوة وجرأة ، فقد شحب وجهه إلى مايقرب من الموت ، وغمغم فى صوت شاحب :



ــ ولكنك تعلم أن ما تطلبه يعدُّ مستحيلًا فى مثل مهمتنا يا مستر ( أدهم ) .

هزَّ ( أدهم ) كتفيه فى استهتار ، وقال :

ــ لن أفرض عليك وسيلة معينة يا مستر ( أدولف ) ، يمكنك أن تدعَّى المرض ، أو كبر السِّن ، أو حتى الإصابة بالبواسير بسبب الجوّ الحارّ ، المهم أن تغادر هذا البلد قبل صباح الغد .

ثم انحنى ( أدهم ) فى هدوء نحو ( ساندر ) ، ولم يلبث أن نهض وهو يدس مسدس هذا الأخير فى سترته ، ويقول :

ــ هل سمعتنى يا مستر ( أدولف ) ؟.. قبل صباح الغد .

ابتعد ( أدهم ) و ( منى ) فى هدوء حتى غادرا الملهى ، وهنا صاح ( أدولف ) وهو يعض شفتيه غيظًا :



ــ لن تفلت منى هذه المرة أيها الشيطان المصرى .. أنا الذى سأسحقك .

* * *

انطلق ( أدهم ) بسيارته صامتًا فترة طويلة ، ثم قال فى هدوء :

ــ هل تريدين تفسيرًا لما فعلت يا عزيزتى ؟

أجابته فى هدوء مماثل :

ــ لا عليك .. لقد اعتدت ذلك ، حتى أننى لم أتوقَّف عن مراقبة تلك السيارة السوداء التى تتبعنا منذ غادرنا الملهى ..

ضحك ( أدهم ) وهو يقول :

ــ لقد تحوَّلتِ إلى محترفة حقيقية يا عزيزتى .

سألته دون أن تعلّق على عبارته :

ــ ماذا تتوقَّع أن يفعلوا ؟

أجابها فى هدوء :



ــ سيكتفون بتتبعنا لمعرفة أين نقيم ، ثم يعد ( حونين ) خُطَّة مناسبة و ....

وقبل ان يتم عبارته ، اخترقت رصاصة زجاج السيارة الخلفى ، ومرقت منه محطِّمة الزجاج الأمامى ، وفتحت ( منى ) فمها مشدوهة ، على حين ضاعف ( أدهم ) من سرعة سيارته بالضغط على دوَّاسة الوقود ، قائلًا فى سخرية :

ــ تعدَّلت الخُطَّة يا عزيزتى .. إنهم ينوُون قتلنا مباشرةً .

* * *



## ٦ ـــ مطاردة حتى الموت ..

انطلقت سيارة ( أدهم ) تشقُّ شوارع ( كيب تاون ) الخالية ، فى الثانية بعد منتصف الليل ، وخلفها اندفعت سيارة سوداء ، تحمل ثلاثة من الرجال ضخام الجثة ، وفى يد كل منهم مسدس ضخم ، يحاولون اللّحاق بسيارة ( أدهم ) ، حتى تقع فى مرمى نيرانهم ، ولكن ( أدهم صبرى ) لم يكن بالرجل الذى تسهل هزيمته ، وشاهدت شوارع ( كيب تاون ) أعظم استعراض لمهارات القيادة ، وامتلأت قلوب الذّئاب البيض بالدهشة والحنق ، وهم يحاولون تتبُّع ذلك الشيطان ، الذى ظل يراوغهم فى مهارة مذهلة ، برغم أن سيارته أضعف كثيرًا من سيارتهم ، وبرغم أن قائد سيارتهم بطل سباق سابق .. ولكن يبدو أنه حتى المحركات تخضع للأقوياء ، فقد استجابت سيارة



( أدهم ) للسرعة الفائقة التى انطلق بها ، برغم أنها تتجاوز سرعتها وهى جديدة ، وخضعت عجلاتها للمناورات المعقّدة التى يقوم بها قائدها ، واستسلمت عجلة القيادة لقبضتى ( أدهم ) فى خنوع ، وطالت المطاردة ..

تسرَّب القلق إلى قلوب الذّئاب الثلاثة ، فانطلقت رصاصاتهم عشوائيًا من فوّهات مسدساتهم الكاتمة للصوت نحو سيارة ( أدهم ) ، وشعر ( أدهم ) و ( منى ) بالرصاصات تخترق حقيبة السيارة من الخلف ، وانحرف ( أدهم ) بحركة حادّة ، محاولاً تضليل المطاردين ، ولكنه فوجئ أمامه بعربة صغيرة تعترض نصف المنعطف الذى دار حوله فى سرعة خرافية ..

ضغط ( أدهم ) دوّاسة إيقاف السيارة ، وحاول أن ينحرف بها إلى اليسار ، ولكن عوامل شتى وقفت تعترض ذلك .. السرعة الفائقة ، والانحراف المفاجئ ، وضيق الطريق ، ولم يكن هناك بُدٌّ من التصادم ..

* * *



لو أن مخرجًا من مخرجى أفلام الحركة الأمريكية وقف يشاهد ماحدث ، لقفز صارخًا من شدة الانفعال ، ولبحث فى جيوبه فى حماسة عن عقد يوقِّعه مع ( أدهم صبرى ) ، ليقوم ببطولة أكثر أفلامه إثارةً وقوّة ، ولاتسعت ابتسامته وهو يربّت على العقد ، مطمئنًا إلى أنه سيربح من مشاهدى الفيلم ما يكفل له العيش الرغد مدى الحياة ..

فقد ارتطمت سيارة ( أدهم ) بمقدمة السيارة الصغيرة ، وقفزت فى الهواء ما يزيد على عشرة أمتار فى إطار مذهل مخيف ، ثم هبطت كطائرة حربية صغيرة ، وارتطمت عجلاتها بالأرض ، ثم عادت تقفز ثلاثة أمتار أخرى ، وسقطت على عجلاتها كما لو كانت تخشى مخالفة رغبة قائدها ، ودارت حول نفسها ثلاث دورات كاملة ، قبل أن يصمت هدير محرّكها ، وتقبع ساكنة ومقدمتها تواجه بداية الطريق ، فى نفس اللحظة التى توقّفت فيها السيارة الأخرى ، وقفز منها الذّئاب الثلاثة ،



ومسدساتهم مُشْهرة ، مستعدة لقتل ( أدهم صبرى ) وزميلته ..

وقبل أن يصل الذّئاب الثلاثة إلى سيارة ( أدهم ) ، قفز هو خارجها والدماء تسيل من جرح فى جبهته ، ويداه خاليتان من السلاح ، وارتفعت فوّهات المسدسات الثلاثة نحوه ، واندفعت أصابع الأوغاد نحو الزّناد .. ولكن ( أدهم ) قفز فجأة فى الهواء ، وبدت قفزته أكثر إثارة للذهول من قفزة سيارته ، وقبل أن ترتفع عيون الذّئاب الثلاثة إلى موقعه الجديد ، تلقى أولهم ركلة حطّمت أنفه ، وفقد الثانى وعيه إثر ثانية هشمت ترقوته ، وقبل أن يفهم الثالث ما أصاب رفيقه ، تهشّم أنفه وفمه بثلاث لكمات ، تعاقبت على وجهه كالصاروخ ، وسقط الرجل ، وانتهت المعركة ، لتبدأ معركة جديدة عندما ارتفع صوت سيارة شرطة تقترب ، فغمغم ( أدهم ) فى ضيق :

ـــ يا إلهى !! لن أخسر عمرى كله فى محاولة تبرير ماحدث لرجال الشرطة .

وحانت منه التفاتة إلى حيث فقدت ( منى ) وعيها داخل السيارة ، واستطرد :

ـــ يبدو أنه لا مفرَّ من مواصلة الهرب .

* * *

وقف رجل الشرطة يحكّ رأسه وهو يتطلّع فى دهشة إلى السيارة التى تهشّمت مقدمتها ، والرجال الثلاثة الذين تناثروا حولها فاقدى الوعى ، ثم عاد إلى رجل عجوز يقف إلى جواره ، ويسأله :

ـــ هل لك أن تعيد على مسامعى مرة ثانية ما رأيته يا مستر ( جورج ) ؟

ازدرد العجوز لعابه ، وكأنما يغلبه الانفعال ، ثم أشار إلى نافذة صغيرة فى الطابق الثانى من أحد أبنية الشارع ، وهو يقول :

ـــ لقد كنت أجلس فى نافذة منزلى ، بعد أن جافانى



النوم هذه الليلة ، وشاهدت تلك السيارة الصفراء تندفع داخل الشارع فى سرعة مذهلة ، ولا ريب أن قائدها قد فوجئ بالسيارة الصغيرة فى مدخل الشارع ، فقد حاول تفاديها فى مهارة ، ولكنه فى النهاية ارتطم بها و .. و ....

وغلبه الانفعال ، حتى أنه أخذ يلوّح بيديه واصفًا الحادث دون أن يتحدّث ، فقال الشرطى فى ضجر :

ـــ حسنًا .. حسنًا .. لقد قفز حتى تجاوز نافذتك ، كما يحدث فى الأفلام الأمريكية ، ثم استقر ثانية على الأرض .. لقد سمعت هذه القصة ، ولكنك لم تخبرنى كيف وصل هؤلاء الرجال الثلاثة إلى هنا ، وكيف حطّمهم رجل واحد هكذا .

مضى العجوز يشرح فى حماس كيف قفز ( أدهم ) من سيارته ، وطار فى الهواء ، منقضًّا على الرجال الثلاثة ، وأخذ يبالغ فى وصف القتال بأطرافه ، حتى أوقفه الشرطى قائلًا :



ـــ أين ذهب بعد ذلك أيها العجوز ؟

أشار العجوز بسبّابته إلى سيارة ( أدهم ) ، وقال :

ـــ لقد رأيته يخرج فتاة حسناء فاقدة الوعى من السيارة ، وحملها بين ذراعيه ، ثم انطلق يعدُو بها مبتعدًا .

مطّ الشرطى شفتيه بشكل ينمّ عن عدم تصديقه لحرف واحد مما ينطق به العجوز ، وقال فى لهجة من يحادث طفلًا :

ـــ إذن فقد قفز بالسيارة ، وهبط بها بكل مهارة ، ثم اشترك فى قتال عنيف مع ثلاثة من العمالقة ، وهزمهم فى بساطة ، ووجد فى نفسه القوة بعد ذلك أن يحمل الفتاة ، ويعدُو بها مبتعدًا .. أليس كذلك ؟

أجابه العجوز فى حماس :

ـــ هذا ما حدث بالفعل .

ربّت الشرطى على كتف العجوز ، قائلًا :



ـــ شكرًا يا سيّد ( جورج ) .. لقد أفدتنا كثيرًا .

انصرف العجوز وهو يشعر بالفخر على حين انحنى أحد رجال الشرطة على أذن الشرطى الأول وهمس :

ـــ ما رأيك فيما قاله ؟

هزّ الشرطى كتفيه وقال :

ـــ لا يمكننى تصديق كلمة واحدة بالطبع .. أراهنك أنها معركة بين فريقين قويّين .

ثم أشار إلى الرجال الثلاثة ، الذين بدأ نقلهم إلى عربة الإسعاف ، وأردف :

ـــ هل تصدّق أن رجلًا واحدًا يمكنه أداء كل هذا؟!.. إن ذلك مستحيل ياصديقى ... مستحيل ..

* * *

شعرت (منى) بصداع شديد حينما استعادت وعيها ، وفتحت عينيها فى صعوبة ، وسألته :

ـــ ماذا حدث ؟.. هل تحطّمنا ؟

ابتسم وهو يقول :

ــ حمدًا لله على سلامتك ياعزيزتى .

تلفتَّت حولها تتطلَّع إلى المنزل ، وهى تقول فى دهشة :

ــ يا إلهى !! كيف نجونا ؟

أجابها فى هدوء :

ــ لقد أراد لنا الله ( سبحانه وتعالى ) أن نواصل القتال يا عزيزتى .

سألته وهى تتحسَّس مواضع الألم فى جسدها :

ــ ماذا سنفعل الآن بعد الأسلوب العدوانى الذى واجهنا به ( أدولف ) ؟

سحب ( أدهم ) مسدسه ، وأخذ يحشو خزانته بالرصاص فى صمت ، ثم قال فى هدوء ينذر بالثورة فى داخله :

ــ لقد حذَّرت ذلك الوغد ، ولكنه رفض الاستماع لما أقول يا عزيزتى .



بدأ القلق يعبث بأعصابها ، وهى تسأله :

ــ ماذا تعنى بهذا القول ؟

قال فى هدوء وكأنه يتحاشى إجابتها :

ــ أعتقد أنك تحتاجين لبعض الراحة يا عزيزتى ، ستبقين هنا حتى أعود .

سألته فى حِدَّة :

ــ ماذا تنوى أن تفعل يا ( أدهم ) ؟

ابتسم ابتسامة مغتصبة ، وهو يقول :

ــ هل نسيت فارق الرُّتب أيها النقيب ؟

زوَت ما بين حاجبيها فى غضب ، وسألته فى لهجة أقرب إلى التوسُّل :

ــ أين ستذهب وحدك ؟

أعاد خزانة المسدس إليه ، ورفع صمام الأمان فى هدوء ، ثم تطلَّع إليها فى ملامح جامدة تنذر بالخطر ، وهو يقول فى هدوء مخيف :



ــ سأذهب لزيارة ذلك الوغد فى مقره وسط الأحراش يا ( منى ) ، سأحطِّم وكر الذِّئاب البيض فوق رءوسهم جميعًا .

* * *





## ٧ ــ تحت ضوء القمر ..

انقشعت الغيوم عن قمر كامل الاستدارة ، يلقى ضوءه على أحراش ذلك الجزء المنعزل خارج (كيب تاون) ، واختفى ( أدهم صبرى ) خلف شجرة ضخمة ، يراقب بمنظاره المقرِّب تلك الفيلا التى أقامها ( أدولف حونين ) وسط الأحراش ..

كانت الفيلَّا تبدو واضحة تحت ضوء القمر ، وهى تتكوَّن من طابقين ، تزيِّن العلوىّ منهما شرفة واسعة ، تحوى بعض المقاعد الخيزرانية المتناثرة ، ومنضدة صغيرة ، اصطفت فوقها الكئوس ، وزجاجات الخمر ، وأمامها جلس ( أدولف ) بجسده الضخم ، وإلى جواره ( ساندر ) ، يجرعان الخمر ، ويلتهمان بعض اللحوم المشويَّة ، وهبط ( أدهم ) بمنظاره إلى أسفل ، ليرصد ثلاثة رجال ضخام الجثة ، يحومون حول الفيلَّا لحراستها



واختفى ( أدهم صبرى ) خلف شجرة ضخمة ، يراقب بمنظاره المقرّب تلك الڤيلا التى أقامها ( أدولف حونين ) ..

فى الليل .. وعاد ( أدهم ) يرتفع بمنظاره إلى الشرفة ، وداعب عدسات المنظار لتقترب الصورة من وجهى ( أدولف ) و ( ساندر ) ، وضاقت عيناه وهو يرقبهما فى إمعان ..

وهناك كان ( أدولف ) يقول فى حِدّة :

ـــ كان ينبغى أن ينسفوا سيارته نسفًا ، هكذا يكون التعامل مع من هم على شاكلة ذلك الشيطان المصرى .

أجابه ( ساندر ) فى غضب :

ـــ إن مراقبنا يدّعى أنه لم يمهلهم من الوقت ما ....

قاطعه ( أدولف ) فى غضب هادر :

ـــ لقد كانوا يعلمون أنه يتحرّك فى سرعة ، إنهم ليسوا هواة .

ثم نهض من مقعده ، وأخذ يلوّح بذراعيه وهو يتجه إلى حاجز الشرفة ، مستطردًا :

ـــ لقد فشلوا ؛ لأنهم تعاملوا معه كخصم عادىّ ،



لقد ظنوا أنهم ذئاب ، ولم يقدروا الرجل حقَّ قدره ، إنه ذئب حقيقى ، ذئب ترتجف أمامه الذئاب و ....

وفجأة .. بتر ( أدولف ) عبارته ، والتقى حاجباه فى دهشة وتساؤل .. ولمّا كان ( ساندر ) لم يَرَ ما أصاب وجه زعيمه من تبدُّل ، فقد قال يستحثه على مواصلة الحديث :

ـــ أهو يمثل كل هذه الخطورة يا زعيمى ؟

استدار إليه ( أدولف ) فى هدوء ، وإن نمّت ملامحه عن انفعال بالغ ، أثار دهشة ( ساندر ) ، الذى همَّ بالنهوض من مقعده وهو يهتف :

ـــ ماذا حدث أيها الزعيم ؟

لوّح له ( أدولف ) بكفه خفية ، وقال فى حزم :

ـــ لا تتحرّك أو تنطق بكلمة يا ( ساندر ) ، استمع إلىَّ فقط .

ظهرت الدهشة على ملامح ( ساندر ) ، ولكنه أطاع الأمر فى صمت ، واستمع إلى زعيمه وهو يواصل حديثه المنفعل ، قائلًا :



ـــ لقد وصل ذلك الشيطان المصرى إلى هنا .

تفجرَّت دهشة بالغة على وجه ( ساندر ) ، وهمَّ بسؤال زعيمه ، إلَّا أنه تذكّر أوامره ، فعاد يلوذ بالصمت ، على حين أردف ( أدولف ) قائلًا :

ـــ إنه يراقبنا فى هذه اللحظة من خلف إحدى الأشجار ، ولن يلبث كعادته أن يحاول اقتحام الڤيلَّا ، غير مبالٍ برجال الحراسة .

حانت من ( ساندر ) التفاتة تلقائية إلى حيث تمتد الأحراش أمام الڤيلَّا ، ثم غمغم بكلمات غير مفهومة ، فابتسم ( أدولف ) فى شراسة ، وهو يقول متابعًا :

ـــ لا ريبَ أنك تحاول سؤالى عن كيفية معرفتى ذلك ، إنه ضوء القمر يا ( ساندر ) .

تململ ( ساندر ) فى مقعده دلالة على عدم اكتفائه بهذه الإجابة ، فاستطرد ( أدولف ) :

ـــ إنه يستخدم منظارًا مقرّبًا ، ولقد انعكس ضوء القمر على عدسات منظاره ، فرأيته ، ولقد طلبت منك

الصمت ، وأوليته ظهرى خشية أن يكون باستطاعته قراءة حركات شفاهنا ، لقد كشفناه دون أن يدرى يا ( ساندر ) .

ثم ابتسم فى وحشية ، وهو يقول فى انفعال متزايد :

ـــ مُرْ رجالنا بالاستعداد لاقتناصه ، حيث سيحاول اقتحام الفيلا من الأمام ، دعهم يجتمعون كلهم فى الأمام ، وسأقتل من يبدى معرفته الأمر منهم ، لقد سقط الشيطان المصرى ، وسنجعلها سقطته الأخيرة .

* * *

مضت نصف ساعة كاملة كلت فيها عيون الذئاب ، وهم يراقبون ما يحيط بالفيلا من أحراش ، وبدأ الملل والشك يتسربان إلى نفوسهم ، والتقت نظراتهم فى ضيق ، فقد كانوا سبعة رجال ، استيقظ أربعة منهم لينضموا إلى رجال الحراسة الثلاثة ، وازدادت أعصابهم توترًا مع مرور الوقت ، دون أن يحدث ما يثير



الانتباه ، وفى نفس الوقت نظر ( أدولف ) فى توتُّر إلى ساعته التى تشير إلى الثالثة والنصف صباحًا ، وقال فى حِدَّة موجِّهًا حديثه إلى ( ساندر ) :

ـــ لا يمكننى أن أكون مخطئًا ، لقد رأيت لمعان عدسات منظاره و ....

قاطعه ( ساندر ) ، وهو يقول فى تردُّد :

ـــ لعله أحد حيوانات الأحراش أو ....

صرخ ( أدولف ) فى وجهه :

ـــ الحيوانات لا تعكس ضوء القمر بهذا القدر أيها الغبىّ .

عقد ( ساندر ) حاجبيه فى غضب ، ولاذ بالصمت ، على حين واصل ( أدولف ) حديثه ، قائلًا فى عصبية :

ـــ إنه لم يضع خطَّته بعد ولا شك ، أو أنه يحاول مفاجأتنا ، أو ....



أخذ يفكِّر فى احتمال ثالث ، وهو يتحرَّك فى أرجاء الشرفة بعصبية ، وتردَّد ( ساندر ) طويلًا وهو يراقب توتُّر زعيمه ، ثم قال :

ـــ ربما اكتفى بمراقبتنا فقط ، وانصرف .

توقَّف ( أدولف ) عن التحرُّك بغتة ، وقطَّب حاجبيه فى ضيق ، فقد بدا تفسير مساعده الذى طالما وصفه بالغباء منطقيًّا ، مقبولًا ، ولكن عناد ( أدولف ) أبى أن يعترف بصحة هذا الاحتمال الجديد ، فلوَّح بذراعه وهو يقول فى غضب :

ـــ هذا غير محتمل ، لعلَّه فقط يحاول كسب مزيد من الوقت .

سأله ( ساندر ) فى حَيْرة :

ـــ ولِمَ يفعل ذلك ، ما دام لا يعلم أننا ننتظره ؟

مرة أخرى خرج ( ساندر ) بتحليل منطقىّ ، واجتاح الغضب جسد ( أدولف ) ، فصرخ فى وجه معاونه :



ـــ اصمت يا ( ساندر ) ، إنك تمنعنى من التفكير المتزن .

وفجأة .. قفز ( ساندر ) من مقعده ، واتجهت يده فى صورة غريزية إلى جيب سرواله ، ولكنها تسمَّرت فجأة قبل أن تصل إلى هدفها ، وارتجف جسد ( أدولف ) الضخم فى مزيج عجيب من الذهول ، والخوف ، والغضب ، فقد ارتفع من مدخل الشرفة صوتٌ هادئ ساخر ، يقول صاحبه :

ـــ معذرة لأننى تركتكم تنتظرون طويلًا أيها الأوغاد ، ولكن هأنذا .

استدار ( أدولف ) فى حِدَّة ينظر إلى مصدر الصوت ، حيث تسمَّرت عينا ( ساندر ) المذهولتان ، وكاد ينفجر فى بكاء القهر والغيظ ، عندما وقع بصره على ( أدهم صبرى ) ، الذى وقف هادئًا ، ساخرًا يصوِّب إليهما المسدس الذى انتزعه مسبقًا من

( ســـاندر ) ، وكان ( أدهـم ) يقـول فى لهجـة تقطـر سخرية :

ـــ ماذا أصابك ؟.. هل أدهشتك رؤيتى يا وغد الأوغاد ؟

* * *





## ٨ ـــ أحراش الموت ..

انهار ( أدولف حونين ) فوق أقرب المقاعد إليه ، وسال على وجهه عرق غزير ، وهو يغمغم فى حشرجة :

ـــ كيف .. كيف وصلت إلى هنا ؟

هزَّ ( أدهم ) كتفيه فى استهتار ، وقال :

ـــ لقد درت حول الڤيلَّا ، وتسلَّلت متستِّرًا بالأحراش ، ومن حسن الحظ أننى لَمْ أجد رجلًا واحدًا من رجالك عند الباب الخلفى .

ثم أردف فى سخرية ، وكأنه يلقن ذئب ( الموساد ) درسًا :

ـــ كان ينبغى أن تزيل تلك الأعشاب المرتفعة من حول الڤيلَّا أيها الوغد ، إنها عالية إلى درجة تسمح بتسلل قطيع من الأفيال فى وضح النهار ، دون أن ينتبه رجل حاد البصر .



جفَّف ( أدولف ) عرق الخوف براحته ، وغمغم فى شحوب :

ـــ هل كنت تعلم أننى أنتظرك ؟

ابتسم ( أدهم ) فى سخرية ، وقال :

ـــ لقد كنت أراقبك وتابعك الوغد من خلال منظارى المقرِّب ، وكـنت أحـاول قراءة حركات شفاهكما ، حينما ظهر على وجهك انفعال عجيب ، واستدرت فجأة توليني ظهرك ، ثم ظهرت الدهشة على وجه معاونك ، وأخذ يختلس النظر إلى حيث أختبئ ، وكنت أنت تتحدث إليه فى انفعال شديد ، دون أن ينبس هو ببنت شفة ، وكان من السهل أن أستنتج أنك قد كشفت مراقبتى لك بوسيلة أو بأخرى .

عاد ( أدولف ) يجفِّف عرقه فى إحباط ، على حين واصل ( أدهم ) حديثه قائلًا :

ـــ ولقد أخطأت أنت بجمع رجالك كلهم لمواجهتى حيث رأيتنى ، وهذا خطأ تكتيكى خطير ،



فلقد مكَّننى ذلك من الدخول إلى الڤيلَّا فى هدوء وبساطة عبر الجانب الآخر ، واستخدمت معكم بعض ما تعلَّمناه من أساتذة التخطيط الحربى فى ( مصر ) ، فتركتكم تنتظرون طويلًا حتى يصل توتُّركم إلى ذروته ، وينتابكم الشك فيما ذهبتم إليه ، ثم باغتُّكم بشكل يكفل تحطيم البقية الباقية من أعصابكم .. إنها خُطَّة سهلة تكفى للإيقاع بفئران مثلكم .

شحب وجـه ( أدولف ) ، وغمغم فى صـوت متحشرج :

ـــ ماذا تريد يا مستر ( أدهم ) ؟

أجابه ( أدهم ) فى صرامة ، وهدوء :

ـــ نفس ما طلبته منك فى الملهى الليلى أيها الوغد ، وسأضيف إلى ذلك اعترافًا مسجَّلًا بما اقترفته منظمتك الإجرامية فى حقِّ المصريين .

حاول ( أدولف ) استجماع شجاعته ، وهو يقول :

— لا تنس أنك تقف وسط أرضى يا مستر ( أدهم ) .

ابتسم ( أدهم ) فى سخرية واستهتار ، وهو يقول :

— لا يمكن لرجالك أن يرونى من هذه الزاوية أيها الوغد ، ولو أنك حاولت تنبيههم إلى وجودى ، فسيسبق موتك ذلك .

ازدرد ( أدولف ) لعابه فى صعوبة ، وحاول أن يبدو قويًا وهو يقول :

— أنت لا تلجأ للقتل إلّا نادرًا يا مستر ( أدهم ) ، هذا ما أخبرونا به فى دراساتنا عنك ، أنت خصم عجيب تتشبه بفرسان العصور الماضية ، ولن تقتل أبدًا رجلًا أعزل .

ابتسم ( أدهم ) ابتسامة باردة ، وهو يقول :

— ولكننى أستطيع تحطيم فكّ مثل هذا الرجل ، فى صراع متكافئ بالأيدى العارية أيها الوغد .



تلاشت محاولة ( أدولف ) للتظاهر بالشجاعة ، وعاد وجهه إلى شحوبه وهو يقول :

— إن ما تطلبه مستحيل يا مستر ( أدهم ) ، سيعدموننى لو أننى فعلت ذلك .

هزّ ( أدهم ) كتفيه ، وهو يقول :

— وسأعدمك أنا لو لم تفعل أيها الوغد .

وفجأة .. وبدون سابق مقدمات ، استدار ( أدولف ) إلى حاجز الشرفة ، وصرخ فى مزيج من الرعب واليأس :

— إلىّ يا رجال .. إنه هنا .

ولم يكد ( أدولف ) يفعل ذلك ، حتى انقض ( ساندر ) على ( أدهم ) ، محاولًا انتزاع مسدسه .

* * *

كانت مبادرة ( أدولف ) قد قلبت موازين القوة فجأة ، فلقد كان محقًّا فى أن ( أدهم ) يبغض اللُّجوء إلى القتل ، وهو فى الوقت نفسه معرَّض لهجوم سبعة رجال مسلحين بالأسلحة النارية ، ومقاومة ( ساندر )



و ( أدولف ) ، والعمل على نجاح مهمته فى الوقت نفسه ، لم يكن الغرور من صفات ( أدهم ) يومًا ، ولكنه كان يعلم جيّدًا أنه أقوى رجال إدارة المخابرات المصرية ، وأن فشله فى هذه المهمة ربما يعنى أن توصم ( مصر ) بجريمة قتل الوطنيين الزنوج فى ( جنوب إفريقيا ) إلى الأبد ، لذا فقد وجد نفسه ملزمًا بتحقيق النصر ..

دفع هذا الشعور طاقة هائلة فى عروق ( أدهم ) ، ولم يكد ( ساندر ) ينقض عليه ، حتى بادره بلكمة ساحقة غاصت فى معدته ، وتأوّه لها هذا الأخير فى ألم رهيب ، وقبل حتى أن تكتمل تأوُّهاته ، كان ( أدهم ) قد حطّم فكّه السفلى بمقبض المسدس الذى يمسكه بيمناه ، وسقط ( ساندر ) فاقد الوعى فى نفس اللحظة التى ارتفع فيها صوت الذّئاب السبعة وهم يسرعون إلى الشرفة .. فالتفت ( أدهم ) إلى ( أدولف ) ، وقال فى صرامة جمّدت الدم فى عروقه :

— أعد جهاز التسجيل أيها الوغد ، فستُملى اعترافك بعد أن أنتهى من تحطيم ذئابك السبعة .



وفى نفس اللحظة التى نطق فيها ( أدهم ) آخر حروف كلماته ، اندفع الرجال السبعة داخل الشرفة ، وارتفعت فوّهات مسدساتهم نحو ( أدهم ) ، الذى قفز جانبًا فى مهارة ، وأطلق رصاصات مسدسه الست دفعة واحدة ..

توقّف رجال ( أدولف ) فى ذهول ، حتى ذلك الذى ظل محتفظًا بمسدسه منهم ، فقد أطارت رصاصات ( أدهم ) الست التى انطلقت متعاقبة فى سرعة مذهلة مسدساتهم ، دون أن يصاب أحدهم بخدش واحد ، كان هذا يوحى بأن خصمهم لا يتقن إطلاق النار فحسب ، بل إنه يعلم أيضًا كيف يقاتل الرجال .

وصرخ ( أدولف ) ليخرج رجاله من ذهولهم :

— حطّموه يا رجال .. أنتم سبعة فى مقابل واحد ، مزّقوه إربًا .

* * *

اندفع الذّئاب الستة الذين فقدوا أسلحتهم نحو ( أدهم ) ، وعيونهم تصرخ بالشرِّ ، وأثبتوا مرة أخرى أنهم فاشلون تمامًا فى التكنيك الحربى ، فقد صنعوا من هجومهم ساترًا يحُول بين مسدس زميلهم السابع ورأس ( أدهم ) ، الذى استقبلهم كما ينبغى أن يفعل ضابط قوات خاصة سابق ، وضابط مخابرات مصرى حالى يعرف باسم ( رجل المستحيل ) .

فقد تحرَّكت أطراف ( أدهم ) الأربعة دفعة واحدة ، وعلى نحو مذهل ، حتى بالنسبة لبطل ألعاب القوى فى أولمبياد عالمى ، وحطَّمت قبضته اليمنى فكَّ أقرب الرجال إليه ، وهشَّمت اليسرى أنف الثانى ، وارتفعت قدمه اليمنى لتغوص فى معدة الثالث ، واليسرى لتركل وجه الرابع .. كل هذا فى اللحظة الأولى من القتال ، ولم تكد تبدأ اللحظة الثانية حتى تلقَّى الرجل الخامس لكمة فى منتصف صدره ، هشَّمت إحدى ضلوعه ، وتحطَّمت ترقوة السادس بلكمة أخرى هوت عليه كالصاعقة ..



وقف الرجل السابع مرتبكًا حائرًا ، ويده تتحرَّك يمنةً ويسرةً ، فى محاولة لإيجاد ثغرة يطلق منها النار على رأس ( أدهم ) ، ولكن اللكمات والركلات المتوالية التى كان ( أدهم ) يطلقها يمنةً ويسرةً ، أصابته بحَيْرة بالغة ، وخشى أن يطلق رصاصة واحدة دون أن يتبيَّن خصمه جيِّدًا ، وسط ذلك الخِضَمّ من الأذرع والسيقان المتشابكة ، وزاد من حَيْرته وارتباكه تلك الصرخات التى أخذ يطلقها ( أدولف ) فى محاولة لحثّ رجاله على هزيمة خصمهم الشيطانى الرهيب ، الذى يقاتل فى بسالة ككتيبة كاملة ..

وأخيرًا .. ظن الرجل السابع أنه قد وجد الطريق إلى رأس غريمه ، فأسرع يضغط زناد مسدسه ، وانطلقت الرصاصة من فوَّهة المسدس تحمل توقيع الموت لمن تلتقى به ، وتوقَّف الجميع بغتة .. توقَّف الرجال الستة لأنهم فقدوا وعيهم ، وتسمَّر الرجل السابع على صوت رصاصته وهى ترتطم بعظام صلبة ، وأصابت



رصاصة الموت هدفًا ، وانقض ملك الموت ليحصل على فريسته ، وسط أحراش ( كيب تاون ) التى لا ترحم أحدًا .

* * *





# ٩ ـ أطياف الفشل ..

كان أول صوت انبعث بعد ذلك التوقُّف المفاجئ ، هو صوت ( أدولف حونين ) ، الذى أطلق خوارًا كالثور الذبيح ، وجحظت عيناه حتى كادتا تنفجران عَبْر مقلتيه ، وتدلَّى لسانه خارج فمه ، فى شكل مخيف مزعج ، وتدفَّق الدم غزيرًا من الثُّقب المستدير الذى صنعته رصاصة رجله ، وغطَّى الدم وجه ( أدولف ) وتقاطر على أرض الشرفة ، ثم سقط جثة هامدة فوق المنضدة ، مُسْقِطًا زجاجات الخمر ، وأطباق اللحم التى امتلأ بها جسده عن آخره ، وسقط معه أمل ( أدهم ) فى الحصول على اعتراف مسجل ببراءة ( مصر ) من جريمة قتل الوطنيين الزنوج ..

اتسعت عينا الرجل السابع فى رعب ، وقد تبيَّن فداحة ما ارتكبت يداه ، وقبل أن يستعيد اتزانه كانت

قدم ( أدهم ) قد أطاحت بمسدسه ، وجذبه ( أدهم ) من قميصه فى قوة ، ورفع قبضته ليلكمه ، إلّا أن الرجل صرخ فى رعب وهو يخفى وجهه بكفيه :

ــ كلّا .. كلّا .. سأفعل كل ما تطلب .

كان العنف المتوالى ، ومصرع الزعيم قد حطّما أعصاب الرجل ، وكان مستعدًا للتعاون بصدق ، فدفعه ( أدهم ) نحو أقرب المقاعد إليه ، وسأله فى صرامة :

ــ هل أنت مستعدّ لتوقيع اعتراف بما فعلته المنظمة ، وبقتلكم ضابط المخابرات المصرى الذى سبقنى إليكم ؟

ظهرت الحَيْرة فى عينى الرجل ، وقال :

ــ سيقتلوننى لو أننى فعلت ذلك ، إنهم لا يرحمون من يشى بهم .

بدت عينا ( أدهم ) صارمتين ، وهو يقول :

ــ سأقتلك أنا لو أنك لم تفعل .



ظهر اليأس فى عينى الرجل ، وقال فى لهجة أقرب إلى البكاء :

ــ افعل إذن ، فلا ريب أنك ستقتلنى بوسيلة أكثر رحمة مما يفعلون .

صمت ( أدهم ) لحظة مفكّرًا ، ثم سأل الرجل :

ــ هل يمكنك أن تدلنى باعتراف غير رسمىّ إذن ؟

تطلّع إليه الرجل كغريق يتعلّق بآخر أمل فى النجاة ، وصاح :

ــ سأفعل كل ما تطلبه منّى ، مادام أحد لن يعلم ذلك .

ابتسم ( أدهم ) وهو يقول :

ــ حسنًا يا رجل .. ستخبرنى بكل ما فعلتم .

* * *

توقّفت سيارة صغيرة تقل ( منى توفيق ) ، أمام منزل ( موناسا ) ، فى ذلك الحىّ الفقير من أحياء ( كيب تاون ) ، وقفزت هى منها بادية القلق ، ودقت



باب المنزل غير مبالية بقدومها فى مثل هذا الوقت من الصباح المبكّر ، وأطلّت بعض الوجوه السوداء ، تحدّق فى دهشة بتلك البيضاء التى تقتحم حىّ الزنوج فى مثل هذا الوقت ، ولم يلبث الزنجى العجوز أن فتح باب المنزل الصغير ، ووقف يتطلّع إليها فى دهشة ، ثم غمغم فى سخط :

ــ إنها الرابعة صباحًا يا سيّدتى و ....

قاطعته بسؤال حاسم :

ــ أريد مقابلة ( موناسا ) .

أخفى العجوز دهشته ، وهو يقول :

ــ لا يوجد من يحمل هذا الاسم هنا يا سيّدتى .

أجابته فى خشونة :

ــ لقد قابلته هذا الصباح ، وكنت أحمل بشرة سوداء ، بصحبة زميل لى يدعى ....

قاطعها العجوز ، وهو يتأمّل ملامحها البيضاء فى شك :



ــ لا ريب أنك أخطأت يا سيّدتى .

تنهّدت ( منى ) فى ضيق ، وحاولت تذكُّر عبارة السِّرّ التى اتفق عليها مسبّقا ، ولكن حالة القلق والتوتُّر التى تمر بها وقفت حائلًا دون ذلك ، فقالت فى ضيق :

ــ صدّقنى أيها العجوز ، لقد كانت هناك عبارة سرّيّة تبدأ بحديث عن الأُسُود و ....

قاطعها العجوز ، قائلًا فى برود وهو يغلق الباب :

ــ لقد أخطأت يا سيّدتى .

لم تجد ( منى ) مفرًا مما فعلته ، فقد أخرجت فجأة مسدسها الصغير ، ووضعته على رأس العجوز وهى تقول :

ــ حسنًا أيها العجوز .. لقد اضطررتنى إلى هذا الأسلوب .

شحب وجه العجوز وهو يقول :

ــ هذا اعتداء على حرمات خاصّة يا سيّدتى .

قالت فى برود :

— إننى أتحمّل النتائج .

أفسح لها العجوز الطريق ، فاندفعت إلى المنزل ، واتجهت مباشرة إلى الساتر الذى يغطّى الحائط المقابل ، فأزاحته ، ومدّت يدها تفتح الباب الداخلى ، ولكنها فوجئت بصوت يأتى من خلفها قائلًا :

— لا يوجد أحد يا سيّدتى ، لقد انصرف الجميع .

استدارت ( منى ) إلى مصدر الصوت ، فرأت رجلًا زنجيًّا يصوّب إليها مسدسًا ضخمًا ، ويبتسم ابتسامة لم ترق لها ، وأرادت إثبات حسن نيّتها ، فأبعدت مسدسها وهى تقول :

— إننى أنتمى إلى المعسكر الصديق ، وأنت السيّد ( بتسوى ) .. أليس كذلك ؟.. لقد تقابلنا هذا الصباح .

بدت ابتسامته مقيتةً ، وهو يقول :

— لست أذكر هذا يا سيّدتى .

صاحت فى يأس :



— حاول أن تتذكّر يا سيّد ( بتسوى ) ، الأمر خطير للغاية ، فبينكم خائن أخشى أن يتسبّب فى مصرع زميلى و ....

قاطعها قائلًا فى برود :

— أعلم ذلك يا سيّدتى :

صاحت فى أمل :

— أخبرنى إذن أين أجد ( كوانا ) ؟.. لقد وصلت معلومات جديدة و ....

عاد يقاطعها ، وقد تحوّلت ابتسامته إلى تعبير مخيف :

— ستخبريننى كل مالديك من معلومات يا سيّدتى .

نظرت إليه ( منى ) فى دهشة ، على حين صاح العجوز فى اهتمام :

— مادمت تعرفها ، فلم لا ندعوا ( موناسا ) و ...

وفجأة .. بتر العجوز عبارته ، واتسعت عيناه رعبًا



وهو يحدّق فى وجه ( بتسوى ) فى ذهول ، وغمغم محشرجًا :

— إنه لم يكن ( كوانا ) .. إنه ....

انطلقت رصاصة من المسدس عَبْر كاتم للصوت ، وصدر منها فحيح كالأفعى ، ثم استقرت فى رأس العجوز ، الذى سقط جثة هامدة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وتراجعت ( منى ) فى فزع وهى تقول :

— يا إلهى !! أنت .

أجابها ( بتسوى ) فى هدوء :

— نعم يا سيّدتى ، لقد أخطأتم بشأن ( كوانا ) ، وسيكون مصرعك ثمن هذا الخطأ .

* * *





استقرت فى رأس العجوز ، الذى سقط جثة هامدة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وتراجعت ( منى ) فى فزع ..

## ١٠ ــ الخـــائن ..

ظلَّت ( منى ) تحدِّق فى وجه ( بتسوى ) دقيقة كاملة فى ذهول ، ثم لم تلبث أن تمالكت أعصـابها ، وقالت :

ــ ولكن ( كوانا ) هو الذى ....

قاطعها ( بتسوى ) ، وهو يقول فى لهجة ساخرة :

ــ هو الذى قال إن السيِّد ( أدهم صبرى ) أبيض البشرة ، وهـذا مادفعكم إلى الشك فيـه .. أليس كذلك ؟

ثم أطلق ضحكة ظافرة مع علامات الذهول التى ارتسمت على وجه ( منى ) ، وتابع قائلًا :

ــ إن ( كوانـا ) غبىٌّ كالآخرين ، إنـه يؤمـن بالغيبيَّات كالسِّحر والرؤيا وخلافهما ، ولقـد كنت وزملائى من ( الموساد ) نتوقَّع أن ترسل المخابـرات



المصرية شيطانها الشهير لإنهاء القضية ، مادام زميلـه السابق قد لقى مصرعه على أيدينا ، وفى اليوم السابق لقدومكم ، أوهمت أنا ( كوانا ) أننى رأيت رؤيا تقول إنه سيصل إلينا رجل مخابرات مصرى يدعى ( أدهم صبرى ) ، وأنه أبيض البشرة ، وسيتظاهر بمعاونتنا ، ولكنه سيقودنا إلى حتفنا فى النهاية .

وابتسم كمن يشعر بفخر لما فعله ، ثم أردف :

ــ ولم يكد الشيطـان المصرى يعلـن عن اسمه فى حجرة القيادة ، حتى أطلق ( كوانا ) شهقة دهشة ، فقد ظن هذا يؤيد رؤياى ، ودفعته ثقته هذه إلى أن يعلن أن ( أدهم صبرى ) رجل أبيض متنكِّر فى هيئة زنجى ، وكان هذا كفيلًا بخداعكم حتى تتصوَّروا أنه الجاسوس المنشود .

مطَّت ( منى ) شفتيها ، وهى تقول :

ــ لقد خُدعْنا بالفعل .

ابتسم فى فخر ، وقال :



ــ لقـــد تأكـــدت من ذلك ، حينما أخبرنى ( موناسا ) أنكما حذَّرتماه من ( كوانا ) .. لقد تصوَّرتم أنكم تتعاملون مع أغبياء ، ولعل هذا يؤكد لك أننـا أذكى جهاز مخابرات فى العالم أجمع .

تأمَّلته ( منى ) لحظة فى صمت ، ثم سألته :

ــ لماذا لم تحاولوا القضاء على منظمة ( الأُسُود السُّود ) مباشرةً ، بدلًا من التـــجسُّس عليها طوال الوقت ؟

ضحك فى سخرية ، وقال :

ــ سؤالك هذا يثبت أننا الأقوى والأذكى .

ثم ضاقت عيناه ، وهو يستطرد قائلًا :

ــ لو أننا قضينا على منظمة ( الأُسُود السُّود ) ، لبرزت منظمة جديدة تناهض من أجل الحريـة ، كما يحدث فى كل البلاد المحتلة ، وبدلًا من اللُّجوء إلى ذلك الأسلوب الأحمق ، فضلنا أن نترك ( الأُسُود السُّود ) يعملون تحت أبصارنا ، وكنا دائمًا قادرين على معرفة



أسرارهم وتتبع خطواتهم ، وإيقاف أعمالهم وتطوُّرهم ، وهم يظنون أنهم يعملون تحت ستار من السِّرِّية والأمن ، والدليل على نجاح أسلوبنا ، هو نجاحى فى التوصُّل إلى ذلك المنصب القيادى فى منظمة ( الأُسُود السُّود ) .. لقد نجحت فى خداعهم جميعًا .

عقدت ( منى ) ذراعيها أمام صدرها ، وسألته :

ــ لماذا حاولتم تحطيم العلاقة بين ( مصر ) ومواطنى ( جنوب إفريقيا ) إذن ؟

مطَّ شفتيه فى غرور ، وهو يجيبها قائلًا :

ــ لقد بدأ هؤلاء المواطنون الأغبيـاء ينظـرون إلى ( مصر ) ، وكـأنها مهـد الحريـة وشعـاع الأمـل فى ( إفريقيا ) ، وبدءُوا يتطلَّعون إلى مافعلته بالمستعمرين ، وهنا كان لا بدَّ من تحطيم مثلهم الأعلى هذا ، وفى هذا الخصوص لم يكن أمامنا سوى قتل بعض الوطنيين على نحو بشع ، وإلصاق التهمـة بالسفـارة المصريـة .. لعبـة سهلة .. أليس كذلك ؟

سألته فى حدَّة :

ــ وماذا يفيد ( الموساد ) من ذلك ؟ إنكم لا تحتلون ( جنوب إفريقيا ) .

أجابها فى برود :

ــ ولكن لنا مصالح عديدة تعتمد على بقاء الوضع على ماهو عليه هنا .. ثم إن عدوى التحرُّر تنتقل دائمًا بشكل يسبِّب لنا الكثير من المشاكل فى دولتى .

قالت فى لهجة ساخرة :

ــ الطيور على أشكالها تقع .

هزَّ كتفيه وهو يقول :

ــ ربما !!

ساد الصمت لحظات ، ثم عادت ( منى ) تسأله :

ــ من قتل زميلنا السابق ؟

ابتسمَ وهو يقول :

ــ لقد نجح زميلكم السابق فى الوصول إلى كشف شخصيَّتى ، وكان هذا يمثل خطرًا بالغًا على خُطَّتنا ، والأدهى أنه نجح فى الوصول إلى وكر الزعيم



( أدولف ) ، وكاد يحصل على وثائق خطيرة تدين تنظيم ( الذئب الأبيض ) بأكمله ، ولم يكن أمامى سوى قتله :

ظهر الغضب على وجه ( منى ) ، وهى تقول :

ــ هل قتلته أنت ؟

أجابها فى سخرية :

ــ إننى أعشق قتل ضباط المخابرات المصرية .

أشارت ( منى ) إلى جثة العجوز ، وقالت :

ــ هل تعشق قتل المسنِّين أيضًا ؟

أجابها فى برود :

ــ من قال إننى قتلته ؟ أنت التى فعلت ذلك .

اتسعت عيناها دهشة ، وهى تقول :

ــ أنا ؟.. هل تنوى إلصاق التُّهمة بى ؟

ابتسم فى شراسة ، وهو يقول :

ــ سأنتزع كاتم الصوت من مسدسى ، وأطلق منه رصاصتين ، ستستقر أولهما فى رأسك الجميل ، والثانية



فى سقف المنزل ، وحينما يهرع الوطنيون إلى هنا ، سأبدى الجزع أمامهم ، وسأقول إنك قتلت العجوز ، فاضطررت لقتلك دفاعًا عن نفسى .

سألته فى غضب ، دون أن يبدو عليها أثر الخوف :

ــ وهل تظن أنهم سيصدِّقونك ؟

تألقت عيناه فى وحشية ، وهو يقول :

ــ إن عقولهم الضعيفة تجعلهم شديدى الحساسية تجاه البيض ، وهم يميلون إلى تصديق كل ما ينسب إلى البيض من أعمال إجرامية ، ولا تنسَىْ أن الجميع رأوْك تهدِّدين العجوز بمسدسك ، وتدخلين إلى المنزل عَنوة .

سألته فى هدوء :

ــ وهل تظن أنك ستنجو ؟

هزَّ كتفيه قائلًا :

ــ بالطبع .. بل ربما أتمادى ، فأطلق النار على ( كوانا ) بحجة أنه جاسوس قذر .. ولن يدهشنى أن أصبح عمَّا قريب زعيم منظمة ( الأُسود السُّود ) .



أطلق ضحكة ساخرة عالية ، إعجابًا بخُطَّته الجهنمية فغمغمت ( منى ) :

ــ يالها من خُطَّة شيطانية !! ستكون زعيمًا لمنظمة سوداء ، وعميلًا لمنظمة بيضاء فى الوقت ذاته ، وستبدو المنظمتان متصارعتين ظاهريًّا ، ولكنهما متعاونتان داخليًّا ، فلا ريب أنك ستقود ( الأُسود السُّود ) إلى كل ماهو ضد خُطَّة بحثهم عن الحرية .. أليس كذلك ؟

ضحك فى وحشية ، وهو يقول :

ــ سيساعدنى حماسهم الأعمى على ذلك ، وستبدو أعمالى ثورية عظيمة ، وسنعتمد على بعض الاغتيالات والأعمال التخريبية التى تجعلهم يبدون فى صورة همجية ، تفقدهم تأييد العالم أجمع .

ابتسمت ( منى ) فى سخرية عجيبة ، وهى تقول :

ــ يالك من متفائل !!

انعقد حاجباه فى غضب ، وهو يَقول :

ــ ستنجح خُطَّتى أيتها المصرية و ....

وفجأة .. بتر عبارته ، وتطلّع إليها فى ريبة ، وقال :

ــ ولكن كيف تبدين هادئة هكذا ؟ هل ....

وقبل أن يتم عبارته ، فُتح باب المنزل فجأة ، وبدا على عتبته ( أدهم صبرى ) باسمًا فى سخرية ، وإلى جواره ( موناسا ) بادى الغضب ، وخلفهما عشرات من المواطنين الزنوج ، وتجاهل ( أدهم ) وجود ( بتسوى ) تمامًا ، ونظر إلى ( منى ) ، قائلًا فى هدوء :

ــ هل أدّيت عملك كما ينبغى يا عزيزتى ؟

وأمام عينى ( بتسوى ) الذاهلتين ، رفعت ( منى ) ساعة يدها أمام وجه ( أدهم ) ، وابتسمت هى تقول فى هدوء :

ــ نعم يا زميلى العزيز .. لقد سجلت كل كلمة نطق بها هذا الوغد .

* * *



## ١١ ــ المفاجأة ..

حدّق ( بتسوى ) فى الجمع الذى يراقبه فى ذهول ، وحاول أن يمسك خيوط اللُعبة مرة أخرى ، فصاح متظاهرًا بالجزع :

ــ لقد ألقيت القبض على البيضاء ؛ لأنها قتلت العجوز ، لقد كنت ....

قاطعه ( أدهم ) ، وهو يقول فى سخرية :

ــ عجبًا .. إننا لم نسمع صوت رصاصة تنطلق من مسدسها أيها الوغد ، ومسدسك وحده هو المزوَّد بكاتم للصوت .

شحب وجه ( بتسوى ) ، وهو يقول :

ــ إنه مسدسها لقد انتزعته منها و ....

عاد ( أدهم ) يقاطعه ، قائلًا :

ــ لم تعد هناك فائدة أيها الوغد ، لقد كشفت أمرك



بنفسك ، لقد اعترف لى أحد رجال ( أدولف ) أنك أنت الخائن ، وأنك أنت الذى قتلت زميلنا ( عبد الفتاح ) ، ولكننى لم أكن أمتلك دليلًا يكفى لإقناع ( موناسا ) والآخرين ؛ لذا فقد فكّرت فى هذه الخدعة ، وحضرت ( منى ) إلى هنا متظاهرة بالجزع ، وادّعت أنها تلقَّت معلومات جديدة ، ودفعتك محاولتك منعها من إخبارى إلى كشف نفسك أمامها ، وكنت مطمئنًا إلى أنك ستقتلها ، فيدفن سرّك معها .

وابتسم فى حنان وإعجاب وهو يتطلّع إلى ( منى ) ، قبل أن يتابع قائلًا :

ــ وأعترف أن ( منى ) قد قامت بدورها على أكمل وجه ، ولاريب أنها تفوّقت على أعظم ممثّلى العالم وهى تؤدّى دوْر الذاهلة ، حينما اعترفت أمامها بخيانتك ، وقادتك كالأبله إلى اعتراف كامل ، سجلته أجهزتنا ونحن نجلس داخل سيارتها أمام المنزل .

قال ( بتسوى ) ، فى محاولة يائسة للنجاة :



ــ لقد كنت أخدعها و ....

قاطعه ( أدهم ) فى سخرية :

ــ وتماديت فى خداعك إلى حدّ قتل العجوز .. كلّا أيها الوغد ، لقد فشلت فى آخر محاولة للخداع .

التقط ( موناسا ) طرف الحديث من بين شفتى ( أدهم ) ، وقال فى غضب :

ــ لقد سمع الجميع كل كلمة نطقت بها أيها الخائن ، لقد تكشّفت أمامنا أبعاد اللُعبة القذرة التى كنت تنسجها حولنا ، ولقد تشاورنا فى الأمر ونحن نستمع إلى اعترافك ، ولم نناقش الأمر طويلًا ، بل حاكمناك ، وأصدرنا حكمنا فورًا .

وصمت لحظة تضاعف فيها الغضب فى ملامحه ، قبل أن يردف قائلًا :

ــ ولقد جاء الحكم بعد موافقة الجميع بالإعدام .

شحب وجه ( بتسوى ) بشدّة ، ثم تحرّك فجأة قبل أن ينتبه الجميع إلى ما ينتويه ، وقبل أن يقفز ( أدهم )

نحوه كان قد طوّق عنق ( منى ) بذراعه ، وألصق فوّهة مسدسه بجبهتها ، وقال فى صوت وحشىّ صارخ :

ــ سأصدر حكمًا بإعدامها قبل أن يتحرّك واحد منكم أيها السادة ، ولكم أن تختاروا .. حياتها أو حياتى .

* * *

ضاقت عينا ( أدهم ) ، والتقى حاجباه ، وهو يقول فى لهجة باردة :

ــ إنك تزيد موقفك صعوبة أيها الوغد .

أطلق ( بتسوى ) ضحكة ساخرة تفيض مرارة ، وقال :

ــ أى موقف هذا الذى سيزداد صعوبة أيها الشيطان المصرى؟ لقد أصدروا حكمهم علىّ بالإعدام ، هل تعرف ما يفوق ذلك ؟

خرجت كلمات ( أدهم ) باردة كالثلج ، حادّة كالسيف ، مخيفة كالموت ، وهو يقول :



ــ نعم أيها الوغد ، هناك ما هو أكثر من الموت ، ولو لم تطلق سراح ( منى ) فورًا ، لأذقتك من العذاب ماتتمنّى معه الموت ألف مرّة .

شحب وجه ( بتسوى ) ، وشعر بكلمات ( أدهم ) الباردة تجمّد أطرافه ، ولكنه سرعان ماانفض هذا الشعور عن نفسه ، وقال فى عناد :

ــ ولو لم تبتعد عنّى ، وتفسح لى الطريق لحوّلت رأس زميلتك الجميلة هذه إلى كومة من اللحم المفرى .

ظل ( أدهم ) صامتًا يحدّق فى عينى ( بتسوى ) فى صرامة ، ثم قال فى هدوء يحمل دوّامات الخطر :

ــ لو أنك مسست شعرة من رأس ( منى ) ، فسأمزقك إربًا أيها الوغد .

صرخ ( بتسوى ) فى غضب :

ــ كُفّ عن مناداتى بالوغد .

أجابه ( أدهم ) فى صرامة وعناد :

ــ كلّا أيُّها الوغد .



ظهر غضب عارم عنيف على وجه ( بتسوى ) ، وشدّد ضغط ذراعه على رقبة ( منى ) ، وهو يصرخ :

ــ أفسح الطريق أيها المصرى .. إننى آمرك .

وبدلًا من أن ينزاح ( أدهم ) جانبًا ، تقدّم نحو ( بتسوى ) بخطوات بطيئة ، قائلًا فى برود كالثلج :

ــ اتركها أيها الوغد ، قبل أن تتمنّى الموت .

تراجع ( بتسوى ) وهو يصرخ :

ــ سأقتلها .. أُقسم لك إننى سأفعل .

تضاعف الغضب فى عينى ( أدهم ) ، وهو يواصل تقدُّمه نحوه ، قائلًا :

ــ اقتلها لو أنك تملك الجرأة لفعلت ذلك ، إنك تمثل دولتك خير تمثيل ، فأنت تجيد الخداع والتلاعب ، ولكنك لا تقدر على مواجهة من يفوقك قوة .

صرخ ( بتسوى ) ، وقد التصق بالحائط :

ــ قلت لك إننى سأقتلها .



ثم حوّل اتجاه مسدسه فجأة نحو ( أدهم ) ، وضغط الزّناد .

* * *

انطلقت الرصاصة من فوّهة مسدس ( بتسوى ) ، ولكنها لم تنطلق نحو ( أدهم ) ، وإنما أصابت سقف الحجرة .. فلم يكد ( بتسوى ) يزيح فوّهة مسدسه عن رأس ( منى ) ، حتى انقض عليه ( أدهم ) كالقنبلة ، وأزاح ذراعه الممسكة بالمسدس إلى أعلى ، ثم رفع يده الأخرى بعيدًا ليفلت عنق ( منى ) من قبضته ، وقبض على ذراعىْ ( بتسوى ) بقبضتين كالفولاذ ، ورفعه عن الأرض كطفل صغير ، ثم جمع غضبه ومقته فى لكمة قوية هوى بها على فكّ ( بتسوى ) ، وأعقب ذلك بأخرى فى معدته ، وثالثة فى أنفه ، ورابعة ، وخامسة ، وسادسة ، وفى كل ضربة كانْ ( أدهم ) يودع جزءًا من غضبه وكراهيته للتعصُّب والعنصرية ، حتى صرخت ( منى ) :

ـ كفى يا ( أدهم ) .. إنك ستقتله .

توقّـف ( أدهـم ) عن توجيـه لكماتـه إلى ( بتسوى ) ، وسقط هذا الأخير متكوّمًا على أرض الغرفة ، والدماء تسيل من فمه وأنفه ، ولانت ملامح ( أدهم ) وهو يستدير نحو ( منى ) ، سائلًا إيّاها فى هدوء :

ـ هل أنت بخير يا عزيزتى ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، على حين ربّت ( موناسا ) على كتف ( أدهم ) ، وقال :

ـ إننا ندين لك بالمحافظة على منظمتنا ومناصرة قضيتنا يا سيّد ( أدهم ) .. لقد فعلت ( مصر ) من أجلنا الكثير .

ثم استدار إلى مواطنيه الذين يتابعون الموقف ، وقال :

ـ لعل هذا يكون درسًا لكم يا إخوة الوطن .. لقد خاننا زنجى مثلنا ، وعاوننا رجل وامرأة لهما بشرة بيضاء ،



وليكن هذا دليلًا على أن لون البشرة لا يصنع البطل والخائن ، ولا الذكى والغبىّ ، ولا الشريف واللّص ، وإنما هو غلاف خارجىّ يخفى موطن الحقيقة .

وضرب موضع قلبه فى قوة ، وهو يقول :

ـ القلب .. القلب هو موطن الحقيقة يا رفاق

ربّت ( أدهم ) على كتفيه ، وقال باسمًا :

ـ مهلًا يا صديقى ( موناسا ) ، فلنؤجل هذه الخطبة إلى الغد ، فأنا أتوق إلى بعض النوم ، ولقد انبلج الفجر بالفعل .

استدار ( موناسا ) يتأمّل ملامحه فى إعجاب ، ثم ابتسم ابتسامة شملت وجهه بأكمله ، وبسط ذراعه أمامه قائلًا :

ـ أنت محقّ ياصديقى المصرى، لقد انبلج فجر جديد.

وفى صمت أبلغ من الكلام ، مدّ ( أدهم ) كفه ، وتصافح الرجلان ، ليؤكدا صداقتهما والتقاء شعبيهما تحت راية الحريّة وكراهية الميول الاستعمارية .

* * *



## ١٢ ـ الختـام ..

عاون ( أدهم ) ( منى ) فى حل حزام مقعدها ، حينما ارتفعت الطائرة مغادرة ( كيب تاون ) ، واستقر جالسًا إلى جوارها ، وقد أغلق عينيه فى صمت ، وسيطر الصمت عليهما بعض الوقت ، ثم التفتت إليه ( منى ) ، وسألته :

ـ فيمَ تفكّر يا ( أدهم ) ؟

ابتسم وهو يقول :

ـ إننى أحاول تخليص ذهنى من كل الأفكار يا عزيزتى .

ضحكت وهى تقول :

ـ لقد حاولت ذلك أنا أيضًا ، ولكننى فشلت .

شاركها ضحكها وهو يقول :

ـ وأنا كذلك يا عزيزتى .



سألته فى اهتمام :

ـ هل تظن أن مشكلة ( جنوب إفريقيا ) ، يمكن أن تحل يومًا ما يا ( أدهم ) ؟

مطّ شفتيه وهو يقول :

ـ ولم لا ؟.. لقد رزحت ( مصر ) تحت نير الاحتلال سبعين عامًا ، ثم لم تلبث أن تحرّرت .. إن الاستعمار كيان هشّ يا عزيزتى ، لا بدّ له من الزوال يومًا ما مهما طال الأمَد .

تنهّدت وهى تقول :

ـ إننى أصدّق هذا القول .

ثم عادت تسأله فى فضول :

ـ لقد كدت تقتل ( بتسوى ) .. أليس كذلك ؟

ابتسم وهو يجيبها ، قائلًا :

ـ لقد أثار غضبى يا عزيزتى .

تخضّب وجهها بحمرة الخجل ، وهو يردف قائلًا :

ـ لقد هدّد بالإساءة إليك .

أشاحت بوجهها حياءً ، وهى تقول :

ـــ أكان هذا من أجلى ؟

ابتسم وهو يتأمَّلها فى حنان ، ويربِّت على كفِّها قائلًا :

ـــ أيراودك الشكّ فى هذا يا عزيزتى ؟

هزَّت رأسها نفيًا دون أن ترفع وجهها إليه ، فابتسم ، وعاد يسند رأسه إلى مقعده ، ويغلق عينيه ، ويلُوذ بالصمت ، واحترمت ( منى ) صمته ، فصمتت بدورها ، حتى سألها فى هدوء :

ـــ هل لاحظت أنها المرة الأولى ، التى نعمل فيها فى واحدة من دول الجنوب الإفريقى ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وهى تقول :

ـــ لم أشعر بفارق كبير .. فالجريمة هى الجريمة فى كل مكان وزمان .

ابتسم وهو يقول :



ولكننى أشعر بنشوة ، كلما حققت نصرًا جديدًا فى بلد جديد .

تأمَّلته لحظة ، ثم ابتسمت فى إعجاب ، وقالت :

ـــ أنت تنتصر دائمًا يا ( أدهم ) ، وسيأتى يوم تعلّق فيه كل دول العالم لافتة أنيقة تقول : « هنا انتصر ( رجل المستحيل ) » .

* * *

[ تمت بحمد الله ]